

المجلة العربية السعودية



٥

ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي

إعداد

عبدالمعطي



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

من جامعة الملك عبد العزيز - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

عمارة المكرمة - قسم الدراسات العليا العربية (فرع الآداب)



إشراف

الدكتور عبدالحامد عيسى

١١٩

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

” فهرس الموضوعات ”

<u>المفحة</u>	<u>الموضوع</u>
د	١ - المقدمة
١٢ - ١	٢ - التمهيد (النقد الأدبي في الأندلس قبل ابن شهيد)
٥٨ - ١٣	٣ - الباب الأول (ابن شهيد)
٤٥ - ١٤	أ - الفصل الأول :
٢١ - ١٤	نسبه
٣٠ - ٢٢	حياته
٢٣ - ٣١	شيوخه
٣٨ - ٣٤	آثاره
٤٤ - ٣٩	مقومات شخصية
٥٠ - ٤٥	علته ووفاته
٥٨ - ٥١	ب - الفصل الثاني : (مكانته الأدبية)
١٠١ - ٥٩	٤ - الباب الثاني (ابن شهيد والنقد التقليدي)
٧٦ - ٦٠	أ - الفصل الأول : (الشعر في نقد ابن شهيد)
٩٠ - ٧٧	ب - الفصل الثاني : (الشاعر في نقد ابن شهيد)
١٠١ - ٩٩	ج - الفصل الثالث : (ثقافة الناقد)
١٥٢ - ١٠٢	٥ - الباب الثالث : (الجديد في نقد ابن شهيد)
١٢٥ - ١٠٣	أ - الفصل الأول : (آراء جديدة في موضوعات قديمة)
	١ - البيان
	٢ - السجع
	٣ - مراعاة مقتضى الحال
	٤ - بناء القصيدة
١٥٢ - ١٢٦	ب - الفصل الثاني : ارتياد بعض القضايا الجديدة
	أولا : الإلهام الشعري
	ثانيا : المنهج التاريخي

- ثالثا : علم الجمال
رابعا : أسلوب الرجل هو الرجل .
خامسا : الممارسة الشعرية .
سادسا : أثر الأعضاء في تكوين الأديب .
سابعا : هيئة الأديب .

١٥٨ - ١٥٢

٦ - الخاتمة .

١٦٥ - ١٥٩

٧ - فهرس المصادر والمراجع .

=====
++++

(مقدمة)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

لم يحظ التراث العربي في الاندلس بما يستحقه من البحث والدراسة
فلا نعد والحقيقة اذا قلنا ان هذا الجانب من ادبنا العربي لاقى من الاهمال
الشيء الكثير على الرغم انه تراث جدير بالبحث والابراز .

وارتباطى بالادب الاندلسى كان منذ دراستى المنهجية فى الجامعة فقد كانت
له مادة اساسية من مواد الدراسة ثم وجدت فى نفسى ميلا شديدا اليه لا سيما
وان اساتذتنا الكرام كانوا ييشون فينا روح الاندفاع الى البحث فى هذا المجال .

فاستمعت بالله اولا ثم طفقت اتصفح الدراسات القديمة والحديثة التى كتبت
عن هذا الجانب من التراث كى انطلق من خلالها الى موضوع يستحق البحث والدراسة
فصادفتى قول جليل من مؤلف قدير وهو الاستاذ احمد ضيف فى كتابه " بلاغة
العرب فى الاندلس " حينما تحدث عن ابن شهيد فقال : " ان واحدا من
الادباء الذين تكلموا عن ابن عامر بن شهيد لم يذكروا له غير : شعره الرقيق
واسلوبه الرشيق ومجونه الكثير وادبه الوفير ٠٠٠ الخ .

ان ابن شهيد من افئدة الادباء المفكرين الذين انجبتهم حركة العقول والادراك
فى الاندلس . "

فكان هذا القول بمثابة الشرارة التى اضاءت امامى الطريق الى البحث فأخذت

اقرا قراءة جادة حول الموضوع كى اكون فكرة سليمة عنه فوجدت ان ابن شهيد

من النقاد الذين يستحقون الدراسة اضافة الى انه كان من الرواد الأوائل
في بناء منهج نقدي واضح للادب الاندلسي .

ومن هذا المنطلق سرت في البحث مستعينا بالله في تقصي الحقائق ووجه
الصواب .

وقد واجهتني بعض الضمومات التي كانت ناتجة عما يلي :

١- شحة المصادر والمراجع في هذا الجانب وشمومية الحصول عليها لأنسه
كما وضحنا سابقا في حكم المهمل ولكن على الرغم من ذلك بذلت ما في وسعي
من جهد حتى احطت بجميع الكتب التي لها صلة بهذا الموضوع .

٢- التهم التي وجهت الى ابن شهيد قديما وحديثا اما لدافع شخص كالحقــد
والحسد اولسوء فهم اقوال ابن شهيد مما دعاني الى التثبت والتسـرـوـي
وتحري الحقيقة في نفي او اثبات تلك التهم .

٣- ارتياد ابن شهيد بعض القضايا النقدية الجديدة على النقد العربي
والتي تحتاج الى مقارنة وادلة من الكتب القديمة والحديثة مما حدا بي
الى القراءة الجادة في كتب النقد واستخلاص النتائج التي لها علاقة بذلك .
ولذلك فان هذا الموضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة .

وقد مهدت له بحالة النقد الادبي في الاندلس قبل ابن شهيد فبينت

انه لم يكن هناك نقد منهجي مهي على دراسة منظمة قبل ابن شهيد .

ثم قسمت البحث الى ثلاثة ابواب الأول منها ويضم فصلين اولهما يتكلم عن

ابن شهيد : نبيه ، حياته ، شيوخه ، آثاره ، مقومات شخصيته ، شمس
علته ووفاته . والفصل الثاني يوضح مكانته العلمية في نظر النقاد القدماء
والمحدثين وتعليقي على تلك الأقوال بما رأيته مناسباً .

اما الباب الثاني : فيتحدث عن نقد ابن شهيد لتلك القضايا التقليدية القديمة
والتي ترددت في كتب النقد فقارنت اقواله باقوال من سبقه
من النقاد موضحاً ما وافقهم فيه وما لم يوافقهم . ويضم
هذا الباب ثلاثة فصول الأولى وتناول الشعرفي
نقد ابن شهيد ، والثاني يتحدث عن الشاعر في نقد
ابن شهيد ، اما الثالث فهو ثقافة الناقد الادبي .

الباب الثالث : وهو اهم الأبواب وأكثرها دقة لأنه يتناول الجديد في نقد
ابن شهيد ويحتوي على فصلين الأول منهما نظره السمي
القضية النقد^{ية} المعروفة نظارة جديدة تختلف عن سبقه
من النقاد . اما الفصل الثاني فيحتوي على قضايا كان
لابن شهيد فضل الابداع فيها وارتياحها متميزاً بذلك
عن غيره من النقاد .

وأرجو من الله العلي القدير ان اكون قد وفقت في اخراج هذا البحث بصورة
مقبولة تلقي الضوء على شخصية ابن شهيد ونقده وان اكون ممن تشرفوا بخدمة هذا
التراث الجليل .

ولا يسمنى اخيرا الا ان اشكر سمادة المشرف على الرسالة الدكتور /
عبد الحكيم حسان عمر شكر امتنان و عرفان لأنه وهبني من وثقه الشيء الكثير
فارجو من الله جميل وعلما ان ينال ثوابه منه انه مميح مجيب . وان يلهمنا
الصواب في جميع اعمالنا فهو على كل شيء قدير . هـ

عبد الله سالم المطاطنى
مكة المكرمة

(تمهيد)

النقد الأدبي في الاندلس قبل ابن شهيد

ان الفترة الحقيقية لنهضة الادب في الاندلس تمتدء ببداية الحكم الاموى
اى فى عهد عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) وذلك ان كثيرا من انصار
الامويين لاذوا بهم فى اقليم الاندلس اما رهبة من الصبايين الذين تعلموا الخلافة
فى المشرق أو رغبة فى ملازمة اشياهم الامويين . وكان اكثر هؤلاء الوافدين
على درجة كبيرة من الثقافة فأثروا فى غيرهم مما ساعد على نشاط الحياة الثقافية
والدفع بمجلتها الى الامام .

وهناك ناحية اخرى كان لها دورها الفعال فى الثقافة الاندلسية وهى تلك
الوفود التى ذهبت لتلقى العلم فى المشرق او للحج او للزيارة ثم عاد أفرادها
ينقلون ما لديهم من علوم ومعارف الى سكان تلك الجزيرة ومن هذا يتبين لنا
ان الثقافة العربية فى الاندلس كانت فى بدايتها تعتمد اعتمادا كبيرا على
المشرق ولم تستقل الأندلس بشخصيتها الثقافية وخاصة فى مجال الادب الا بعد
زمن ليس بقصير وهذا ما اثارا عجاب صاحب ابن عباد حينما قرأ كتاب " المقدم
القريد " لابن عبد ربه فقال : " هذه بضاعتنا ردت الينا " . وقال ابن بسام :
" ان اهل هذا الاقطابوا الامتاحة اهل المشرق ، يرجعون الى اخبارهم
المعتادة ، رجوع الحديد الى قتادة ، حتى لو نطق بتلك الاقطاب غراب اوطن بأقصى
الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما . "

١ | شوقى ضيف . ابن زيدون " دار المعارف بمصر ط ٣ " ص ١٢
٢ | ابن بسام ١/١ ص ٠٢

وقد حفظت لنا المصادر بعض القصائد التي تروى عن عبدالرحمن الداخل
(١)

وخاصة في الحنين ومنها قصيدته المشهورة في مناجاة النخلة .
(٢)

ومن شعراء هذه الفترة أيضا أبوالمخشي الذي سجل عينيه هشام بن عبدالرحمن
الداخل وكان شاعرا مجيدا وكذلك الحكم بن هشام الذي عرف بالتحريز والميسل
الى اللبس مما اثار عليه سخط الفقهاء وكان ادبيا بارعا اجاد في الشعر والنثر . الى
غير هؤلاء من الشعراء والكتاب الذين تحدث عنهم مصادر الأدب في الأندلس .

وإذا كان الأدب الأندلسي في بدايته قد اعتمد على ادب اهل المشرق فإن
النقد في اولياته قد أفاد كذلك من الاتجاهات النقدية التي كانت قائمة في
المشرق .

فمن الملاحظ ان النقد في العصر الاموي ازدهر في ثلاث بيئات هي الحجاز
والعراق والشام . و كان للحياة الاجتماعية والبيئة الطبيعية اثر ملموس في
أدب هذه البيئات وتقدمها .

ففي الحجاز كثرت المجالس الفنايية والأدبية التي يلتقى فيها الشعراء و...
المؤدبون مما ادى الى نشاط الحياة الأدبية في ذلك الوقت ومن اشهر ناقصي
هذه البيئة عبدالله بن ابي عتيق وسكينة بنت الحسين التي كانت تجمع الادباء

(١) انظر ابن عذاري المراكشي . البيان المشرقي . دار الثقافة بيروت تحقيق

ج - س - كوون ولبقى بروفسال ج ٢ ص ١٠

(٢) انظر ترجمته في ابن سميده المشرقي ج ٢ ص ١٢٣

في بيتها يستمعون الطرب ويخوضون في المناقشات والمناظرات ، وقد روى عن ابن
ابن ابي عتيق بعض النقدات اللطيفة كقوله عن عمر بن ابي ربيعة ^(١) " ما عصى الله
عز وجل بشعر اكثر مما عصى بشعر ابن ابي ربيعة " .

اما في المراق فقد استعاد العرب ذكريات سوق عكاظ بصوتى المرند والكناسة
التي كان يحضرها الناس للاستماع الى جرير والفرزدق والأخطل الذين اغنوا الأدب -
العربي بتلك النقائض الجميلة والتي تبين مقدرة كل منهم وطول باعه ، وما أكثر
الروايات والقصص التي تروى في كتب الادب العربي عن هؤلاء الشعراء الذين شغلوا
الناس في فترة من الفترات الى الحد الذي اشترك في تفضيل احدهم على الآخر
الخلفاء انفسهم امثال عبد الملك بن مروان وغيره . وكل ذلك بلا شك يكون احكاما
نقدية في مكانة الشاعر من قوة او ضعف .

وفي الشام نرى شعر المديح قد طغى على غيره من الاغراض لمكانة دمشق من
الخليفة وقد لون هذا الادب " بلون المديح ولون النقد بلون الأدب " وخير
من نقد هذا اللون الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان الذي نقد بعض قصائد
جرير وعبد الله بن قيس الرقيات وغيرهما . فاذا وصلنا الى العصر العباسي نرى
ان الحضارة العربية بلغت مجددا فعم الرخاء ومال الناس الى حياة الترف واتصل
العرب بغيرهم من الأمم عن طريق الترجمة التي نشطت في ذلك الوقت ، وأصبح
الذوق الفطري في حكم المعدوم وحل محله الذوق الثقافي . كذلك أصبح

(١) الدكتور محمد رضا ن الدايه تاريخ النقد الادبي في الاندلس دار الانوار ببيروت
ط ١ ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م " ص ٢٣٥
(٢) احمد امين . النقد الادبي " دار الكتاب العربي بيروت ط ٤ ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م
ص ٤٦٤ .

النقد يأخذ مادته من عدة روافد : أولا : الشعراء والكتاب امثال بشار بن برد
وابن نواس وابي تمام وعبدالله بن الممتز وغيرهم ، ثانيا : نقد اللغويين الذين
جمعوا ما باستطاعتهم جمعه من اللفظة والشعر والاخبار فدوتوا ذلك في مؤلفات
عديدة وكانت لهم بعض الملاحظات النقدية المنهية ومن امثال هؤلاء ابو عمرو بن
(١)
العلاء والاصمى وابن سلام وغيرهم ، ثالثا : المتكلمون الذين اهتموا بمسائل
البيان والبلاغة لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظرة .

وفي نهاية القرن الثالث ومداية القرن الرابع الهجرى اتجه النقد الى
المنهجية والمقارنة وكان لانقسام النقاد في تفضيل ابي تمام على البحتري والمكس
اثر كبير في دفع عجلة النقد فالف الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ كتابه
" اخبار ابي تمام " ، ثم ظهر بعد ذلك كتاب " الموازنة " لابن القاسم
الامدى المتوفى سنة ٣٧٠هـ . وبعد هذا الكتاب من اعظم كتب النقد
واجلها .

وجاء المتنبى فعلا لدنيا وشغل الناس وثار حوليه خصومات عنيفه بعضها في
عصره وامتد بعضها الآخر الى ما بعد عصره واشهر كتاب الف في هذا المجال
" الوساطة " للقاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢هـ .

فكما نرى مر النقد بهذه التطورات حتى تبلور في شكله الصحيح .

هذه العامة سريعة عن صورة النقد في المشرق اهلنا فيها اكثر الامثلة لا شك
في اهميتها وانما لانا نريد ان ننقد من هذه الاشارات المطيرة الى حالة النقد

(١) الدكتور شوقي ضيف . البلاغة تطور وتاريخ " دار المعارف بمصر ط ٢ ص ٣٢

الادبى فى الاندلس والذى يعد صدى لتلك الاتجاهات التى وجدت عند المشرقيين .
وكما وضحنا سابقا فان النهضة الحقيقية للأدب الأندلسى كانت مع بدايات
عهد عبدالرحمن الداخل الخليفة الأموى ولذلك فاننا لا ننتظر ان تكون هناك اى اشارات
نقدية تستحق الذكر قبل هذه الفترة لأن النقد - كما هو معروف - مرحلة
ثانية تعتمد على الأدب الذى هو مصدر مادته .

وفى الواقع ان الاندلسيين ميزوا الشعر - وخاصة قبيل عصر الطوائف - بسين
مذهبين القديم والجديد وكانوا يسمون المذهب الأول مذهب " المرب " والثانى
(١)
مذهب المحدثين . ويقصدون بالأول " فخامة اللفظ وجزالته والتزام صور المرب
وسلكهم فى التعبير " وهذا هو معنى قول ابن حزم فى شعر جمونة احد شمسراء
(٢)
الاندلس : " فهو جار على مذهب الأوائل " ، وقول الزبيدى ان الراحى -
الشاعر الأندلسى - " نظم قصيدة فى الرثاء على مذهب المرب " ، وقولهم
(٤)
ايضا ان ابا بكر الزبيدى رثى شيخه القائل البغدادى بقصيدة " جزلة اللفاظ
كثيرة المرب " ، صاغها صوغ فحول المرب " .
(٥)

اما شعر المحدثين فيقصدون به النسخ على طريقة ابي نواس وابى تمام وابن المعتز

-
- (١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٣
 - (٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الأندلسى عصر سيادة قرطبه " دار الثقافة " بيروت ص ٤٨
 - (٣) الزبيدى . طبقات النحويين واللفويين " القايره ١٩٥٤م " تحقيق محمد ابا الفضل ابراهيم ص ٣٣٩
 - (٤) الثمالي . يثيمة الدهر " مطبعة السماه مصر ط ٢ ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م " تحقيق محى الدين عبدالحميد ج ٢ ص ٧١
 - (٥) الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الأندلسى عصر سيادة قرطبه ص ٤٦ .

(٢)

وغيرهم وقد نالت هذه النماذج القسط الأكبر من إعجابهم " وتتمليل التفات
الاندلسيين الى هؤلاء واضرابهم لا بد من افتراضات متعددة ، منها أثر الوافدين
من المشرق ، وأثر الرحالة والمسافرين من الأندلس الى المشرق من طلاب العلم
وشدة الرواية وقصائد الحج وسواهم ، فانهم كانوا يعودون - فيما يعودون بسهم -
بداوين الشعراء الناجحين واسماهم ، فهي بضاعة جديدة تعدى التفات النظر .
ومن ذلك ان الشعر الاندلسي : بدأ يتكون حين كان الشعر المشرقي يشهد
تجدد بشار وأبي نواس ، ويقف على مفترق الطرق بين مذهبي أبي تمام والبحتري .
ولما كان سكان الأندلس حينئذ يلتفتون في كل شيء الى المشرق فقد اتخذوا من شعر
المشاركة المحدثين مثالا يقلدونه ونورا يهتدون به أي جعلوا الشعر المحدث - لا شعر
المرب الاوائل - مورثا لهم ينسجون على منواله ويستوحون ما فيه وتوقع
ان يكون صدى الخلاف بين الطائيين في مذهبهما قد انتقل الى الأندلس ، وان لم
ياخذ طابع الحدة الذي شاربه في المشرق

ولكن من الملاحظ ان الحركة النقدية في الأندلس لم تظهر بمثل النشاط الذي
ظهرت به في المشرق لأن النقد كان في بدايته ولقلة النقاد الاندلسيين في تلك الفترة .
وكما شغل المتنبي اهل المشرق كذلك شغل اهل الأندلس ايضا
(٢) (٣)
له وكان ابن دراج يسمي المتنبي الاندلسي .

وشرح بعض الادباء الاندلسيين ديوان المتنبي مثل ابن القاسم بن الاغليلي وغيره

(١) الدكتور رضوان الدايشه ص ٢٦٦

(٢) ابن بطام ١/١ ص ٤٤

(٣) وقيل ان الذي كان يقارن بالمتنبي من شعراء الأندلس هو ابن هاني - انظر

احمد هيكل . الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ط ٦ ١٩٧١م ص ٢٣٧

(١)

وقول الدكتور الدايه : " ولم يلبث أن ظهر الممرى ، وانتقل كثير من شهره
وكتبه الى الأندلس وان اثره على الشعراء والكتاب " ولعل في هذا ما يكفى
للبرهنة على ان الاتجاهات النقدية في المشرق كان لها اثر واضح وملامس
في النقد الاندلسي الذي لم يبدأ في الاستقلال الا على يد ابن شهيد وابن حزم
وخاصة الأول منهما الذي استطاع ان يبنى منهجا نقديا واضحا في النقد
الادبي في الاندلس .

وعلى اية حال فان اوليات النقد الادبي في الاندلس كانت جزئية تمتد
على الذوق وتلتفت في اكثر الاحيان الى النحو والصرف واللفظ ووضع الكلمة فسي
موضعها المناسب ومن امثلة ذلك ما يروى ^(٢) عن جودي النحوي الاندلسي الذي
تزوج من المشرق وصنف في النحو ، وكانت له حلقة مشهورة بيت علمه فيها ، وتدارس
فيها الاخبار والاشعار . وفي حلقة انكر على عباس بن ناصح - الشاعر الاندلسي
قوله :

يشهد بالاخلاص نوتيتها * لله فيها وهو نصرانسي

فلحن حين لم يشدد يا النسب ، وكان بالحضرة رجل من اصحاب عباس بن ناصح ،
فساء ذلك فقصد الى عباس - وكان مسكته بالجزيرة - فلما طلع على عباس قال له :
ما اقدمك اعزك الله في هذا الأوان ؟ قال اقدمني لحنك ! قال عباس : وكيف
ذلك ؟ فأعلمه بما جرى من القول في البيت ، قال : فهلا انشدتهم بيت عميران
بن حطان :

يوما يمان اذا لاقيت ذابن * وان لقيت معديا فعد نانسي

(١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٨

(٢) الزبيدي : ٢٧٨ - ٢٧٩ .

قال : فلما سمع البيت كثر راجما فقال له عباس : لو نزلت فأقمت عندنا ، قال :

ما بي الى ذلك من حاجة ، ثم قدم قرطبة فاجتمع بجودي واصحابه فأعلمهم .

(١)

ومن ذلك ايضا ما يروى " عن ابي الكوش الخولاني الذي انتقد قول ابي محمد

الاعرابي المامري لابراهيم بن حجاج صاحب اشبيلية : " تالله ما سيدتك المرب

الا يحقك " فقال له يا ابا محمد العلماء عندنا بالمرية يقولون : سودتتك ،

واختلفا ، فكتب ابو الكوش الى يزيد بن طلحة - وكان استاذا في علم المرية

واللغة - فأجابه : المعروف سودتتك بالواو ولعل ما ذكر ابو محمد لقصة

لبنى عامر ، وأثار الجواب اشكالا اكبر ، فاستدعى ابراهيم بن حجاج يزيد بن طلحة

فلما حضر خرج عليه فقال له : أتشور على الرجل في كلامه ؟ فقال ابن طلحة :

ان العلم ليس من جهة المبالغة ولكن من جهة الانصاف والحقيقة ، فليجئني ابو

محمد عما أسأله عنه . فقال له : سل . فقال يزيد : كيف تقول المرب

ساد يسود أو ساد يميد ؟ قال الاعرابي : ساد يسود قال يزيد : هذه الواو

معنا في الفعل ، فكيف تقول المرب السودد أو السيدد ؟ فقال : السودد فقال

يزيد : هذه الواو ثابتة في الاسم . ثم قال أي منزلة عندكم عمر بن الخطيب

رضي الله عنه من الفصاحة ؟ فقال الاعرابي : فوق كل منزلة . قال يزيد : فقد

ثبت عندنا أنه قال : (تفقهوا قبل أن تسودوا) وهذا حديث لم يطمئن فيه احد ممن

علموا اللغة كما صنعوا في سائر الاحاديث التي وقع فيها القلط . فلع الاعرابي

وقال : يا أهل الأمصار : ماذا صنعتم بالكلام .

(١)

ومن ذلك ايضا ما رواه ابن سميد من ان عباس بن ناصح الثقفي الشاعر المعروف :
" وقد مرة على قرطبة في مدة الحكم الرضى ، فجاءه ادباؤها للأخذ عنه ، فمرت
عليهم قصيدة :

لمسرك ما البلوى بعمار ولا الصدم * اذا المرء لم يقدم تقى الله والكسرم
حتى انتهى القارى الى قوله :

تجاف عن الدنيا ، فما لممجز * ولا حازم - الا الذى خط بالقلم
(٢)

فقال له يحيى الفزال - وهو حدث - أيها الشيخ ، وما الذى يصنع مفضل مع
فاعل ؟ فقال : فكيف تقول أنت ؟ قال :

تجاف عن الدنيا فليس لعاجز * . فقال عباس : والله لقد طلبها عمك ليالى
فما وجدها ! . .

وكان اكثر النقد او بالاحرى - الخطرات للنقدية - تدور في مجالس الخلفاء او الكبراء
وغالبا ما يكون اعتراضا على الماعر من حيث اللفظة او المعنى . ومن ذلك ما رواه . . .
(٣) (٤)

الحيدى حين يقول : " لما قدم صاعد بن الحسن اللفوى على المنصور بن أبى
عامر جمعنا معه فسألناه عن مسائل من النحو غامضة ، فقصر فيها ، فلما رآه ابن أبى
عامر كذلك قال : دعوه فهو من طبقتى فى النحو ، أنا أناظره ، قال : ثم سألتنا

(١) ابن سميد ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥
(٢) هو يحيى بن حكم ، ولقب بالفزال لو سامته وظهره ولد سنة ١٥٦ هـ ونشأ نشأة
علمية أدبية غير ان الشمر غلب عليه فاشتهر به . انظر . ابن دحية . المطرب
" دار العلم بيروت " تحقيق ابراهيم الابيارى ، والدكتور حامد عبد المجيد
ص ١٣٣ ، ابن سميد ج ٢ ص ٥٧ ، احمد هيكل ص ١٥٧
(٣) الحيدى . حدوة المقتبس " الدار المصرية للتأليف مصر ١٩٦٦ م " ص ٢٤٣-٢٤٤
(٤) انظر ترجمته في ابن بسلام ١/٤ ص ٢

صاعد فقال : ما معنى قول امرئ القيس :

لأن دماء الهاديات بنحسره * عصارة حنساء لشيب مرجل

فقلنا : هذا واضح وانما وصف فرسا أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها

الى صدره فجاء هكذا ، فقال صاعد : سبحان الله ! أنسيتم قوله قبل هذا في وصفه :

كميت يزل اللبد عن حال منه * كما زلت الصفواء بالمتسؤل

قال : فهبتنا والله ، وكأننا لم نقرأ هذا البيت قط ، واضطرنا الى سؤاله عنه ،

فقال : انما عنى أحد وجهين : اما أنه تفسى صدره بالمرق ، وعرق الخيل

أبيض فجاء مع الدم كالشيب ، واما شيط كانت المرع تصنعه ، وهو أنها كانت تسمى

باللين الحار في صدور الخيل ، فيتمسك ذلك الشعر وينبت مكانه شعرا بيضا فأيا ما عنى

من أحد الوجهين فالوصف مستقيم .

ومن الملاحظ أن مشكلة السرقات شكلت موضوعا هاما من موضوعات النقد في الأندلس

منذ بدايته وقد حفظت لنا المصادر الأندلسية صورة من ذلك وخاصة في مجالس الخلفاء

(١)

والأمراء من ذلك ما يروى عن المنصور انه جىء اليه بوردة " في غير أيامها ، لسم

تستتم فتح كامها ، فقال فيها صاعد على الارتجال :

انتك ابا عامرودة * يذكرك المسك انقاسها

كعذراء أبصرها مبصر * ففطت بأكامها رأسها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضرا ، فحسده ، وجرى الى مناقضته ، وقال

لابن ابي عامر : ان هذين البيتين لغيره ، وقد انشد فيهما بعض البغدايين

بمصر لنفسه ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه .

فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث ، حتى أتى مجلس ابن بدر ، وكان أحسن أهل وقته بديهة ، فوصفه بما جرى فقال :

عشوت الى قصر عباسية * وقد جدل النوم حراسها
فألقيتها وهي في خدرها * وقد صنع السكر أنا مهها
فقلت : لاسار على هجمة ؟ * فقلت : بلى ، فومت كاسها
ومدت يديها الى وردة * * * * * يحالي لك الطيب انفاستها
كمدراء أبصرها مبصر * فقطت بأكامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن * في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفنة * وما خنت ناهي ولاناسها

فطار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ، وورى وتحيل بمعداد اشقر ، ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتد غيظا على صاعد .

واهم كاتب ظهر قبل ابن شهيد وابن حزم في الاندلس هو ابن عبد ربه السعدي اشتهر بمؤلفه الجليل " المقدم الفريد " وقد جمع فيه كثيرا من الاشعار والخبار والقص وخاصة عن أهل المشرق فكانما هي بضاعتهم ردت اليهم ولانكاد نلمس في هذا الكتاب الشخصية الاندلسية المتقلة وانما هو (١) لاحق بكتيب المختارات والمحاضرات على شاكله ما كان شاعرا في المشرق مثل بعض كتب الجاحظ وابن قتيبة والهرد وغيرهم .

اما من الناحية النقدية في الكتاب فانا نستطيع ان نلحقه بأوليات النقد الادبي في الاندلس لأن اكثر احكام المؤلف تقوم على الذوق من استحسان او استهجان والتمقيب على بعض الآراء السابقة .
من كل ما سبق يتبين لنا أن النقد الادبي في الاندلس لم يستطع ان يأخذ

(١) الدكتور محمد رضوان الدايه ص ٢٨٠

شكله المميز وشخصيته المستقلة - وإنما اعتمد على الذوق الشخصي والحكم اللغوي حتى جاء ابن شهيد فكون له منهجاً واضحاً وطريقة جليسة فكانه بذلك واضح اسس النقد الادبى فى الاندلس وهذا ما لاحظته الدكتور احسان عباس حينما قال :

(١)

" ولعل اعظم اثنين تمرسا بالنقد فى القرن الخامس وربما ظلا اعظم من تلقاهم فى تاريخ النقد هنالك هما ابن شهيد وابن حزم ، وكانا صديقين يلتقيان على بعض شئون الحياة " .

(٢)

ويقول فى موضوع آخر : " اصبح ابن حزم غير جاد فى بناء منح نقدي واضح كالذى فعله ابن شهيد " .

وكل ذلك سوف يتضح لنا بوضوح بعد أن نلقى الضوء على نقده فى الأبواب

القبله من هذه الرسالة .

(١) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٤٧٥

(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٤٥ .

- الباب الأول : ابن شهيد -

الفصل (الأول)

ابن شهيد

نسبه :

هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد بن عبد الملك بن عمير
ابن محمد بن عيسى بن شهيد (*) شجى النسب من ولد الوضاح ابن رزاح الذى
كان مع الضحاك يوم المعج . وهذا الوضاح هو جد بنى وضاح من اهل مرسية (٢)
واليه ينتسبون فبنو وضاح من اشجع واشجع من قيس عيلان بن مضر وقد أسس
الوضاح بن رزاح فى يوم المعج ومن عليه مروان بن الحكم .

(١) معركة حدثت بين الضحاك بن قيس الفهري الذى كان قائد الجيش
عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم وهى المعركة الحاسمة التى
استعاد فيها بنو امية ملكهم من جديد وهزم فيها الضحاك وجىء برأسه
امام مروان بن الحكم فساء ذلك . انظر " الطبرى " تاريخ الطبرى
تحقيق ابو الفضل ابراهيم ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ج ٥ ص ٥٣٥ /
٥٣٨ .

(٢) مرسية : بضم أوله ، والسكون ، وكسر السين الصهله ، ويا مفتوحة
خفيفة ، وهاء ، مدنية بالاندلس من اعمال تدمير اختطها عبد الرحمن
بن الحكم بن هشام " ياقوت الحموى . معجم البلدان " دار صادر

بيروت ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م " ج ٥ ص ٤٠
" شهيد : بضم الشين المثله ، وفتح الهاء ، وسكون الياء المثناة من
تحتها ، وبعدها دال مهمله - والاشجى - بفتح الهمة ، وسكون الشين
المثله ، وفتح الجيم ، وبعدها عين مهمله - هذه النسبة الى اشجع بن ريث
بن عطفان ، وهى قبيلة كبيرة " ابن خلكان وفيات الاعيان تحقيق محى الدين
عبد الحميد " مطبعة السمانه ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م " ج ١ ص ١٠٠ .

(١) (٢)

هكذا نسميه الضبي وعليه اكثر المؤرخين ولكن بعض الكتب تزيد فسمى

نسبه فيقولون : انه احمد بن عبد الملك بن مروان بن احمد بن عبد الملك . الخ (٣)

وفيما يبدو انه قد حدث شيء من الخلط عند هؤلاء لان والد ابي عامر

(٤)

ابن شهيد كان يكنى " بابي مروان " فظن هؤلاء انه " ابن مروان " . او انهم

خلطوا بينه وبين عبد الملك بن مروان بن احمد بن شهيد الذي يكنى " بابي الحسن "

(٥)

الراوي المحدث وهو غير والد ابي عامر ابن شهيد .

(١) الضبي . بضية الملتس طبعة مدريد ١٨٨٤م يطلب من مكتبة العشي بغداد
ومؤسسة الخانجي بمصر ص ١٧٨-١٧٩

(٢) الكتب التي ترجمت له هي : مصر ١٩٦٦م ص ١٢٣ . ابن سعيد . المغرب
الحميدي . جذوة المقتبس ص ٧٨ . ياقوت الحموي . معجم الادباء

" دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ص ٧٨ . ياقوت الحموي . معجم الادباء
مصر عيسى الهابي الحلبي " ج ٣ ص . الثمالي . يتيحة الدهر تحقيق

محي الدين عبد الحميد " مطبعة السعادة القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ط ٢
ج ٢ ص ٣٦ . ابن بسام الذخير " القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م " ١/١ ص ١٦

المقري . نفح الطيب " دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م " تحقيق
الدكتور احسان عباس ج ١ ص ٦٢١ . الفتح بن خاقان . مطمح الانفس مطبعة

الجوائب قسطنطينيه ١٣٠٢هـ ط ١ ص ١٦ . الكلاعي . أحكام صنمسة

الكلام . " دار الثقافة بيروت ١٩٦٦م " تحقيق : الدكتور محمد رضوان الدا
ص ٤٦ . احمد ضيف . بلاغة المرب في الاندلس " مصر ١٣٤٢م - ١٩٢٤م ط ١

ص ٤٣ . زكي مبارك . النشر الفني " دار الجيل بيروت ١٩٧٥م " ج ٢ ص ٣٦٨ .
يعقوب زكي . ديوان ابن شهيد " القاهرة . دار الكتاب العربي " ص ٥٥ خير

الدين الزركلي . الغلام " بيروت ١٣٨٩ - ١٩٦٩م ط ٣ ج ١ ص ١٥٧ .
بروكلمان . تاريخ الأدب العربي " دار المعارف بمصر ١٩٧٥م " ترجمت . رمضان

عبد التواب ج ٥ ص ١٢١ . الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي
عصر سيادة قرطبة " دار الثقافة بيروت ١٩٧٥م " ص ٢٧٠ . الدكتور شوقي

ضيف الفن ومذاهبه في النشر العربي " دار المعارف بمصر ط ٥ ص ٣٢١ محمد
عبد المنعم خفاجي . قصة الادب في الاندلس . " مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٢م "

ص ٢٩٨ . الدكتور محمد رضوان الدايه . تاريخ النقد الادبي في الاندلس " دار
الانوار بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ط ١ ص ٢٩٣ . الدكتور جودت الركابي

في الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ط ٣ ص ٩١ . الامير شكيب أرسلان
الحلل السندسي " مكتبة الحياة بيروت ١٣٥٨هـ " ج ٣ ص ٤٥٥

==

وأبو عامر يحمل نفس الاسم الذي يحمله الجد الأدنى وهو أحمد بن عبد الملك
ابن شهيد ومن هنا حصل لبين الصغير والكبير ، والحفيد والجد عند
بعض الباحثين فخلطوا بينهما حتى في رواية الأسماء .

(١) كان أبو عامر سليل أسرة عرفت بالرئاسة والوزارة منذ زمن بعيد في تاريخ

(٢)

الاندلس يقول ابن الأبار : " وشهيد بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس

في أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء في الخطط السنية ،

من الأمانة والحجابة والوزارة والكتابة ، إلى انقراض الدولة الأموية بالاندلس .

== (٧) الكتب التي نسبت بهذا النسب هي :-

ابن خلكان . وفيات الأعيان " مطبعة السعادة مصر ١٣٦٢ هـ ١٩٤٨ م
تحقيق محي الدين عبد الحميد ج ١ ص ٩٨ . الصفدي . الوافي بالوفيات
دار صادر بيروت " ج ٧ ص ١٤٤ . ابن دحية . المطرب من أسماء أهل
المغرب " دار العلم للجميع بيروت " تحقيق . إبراهيم الأبياري وغيره ص ١٥٨
بطرس البستاني . رسالة التواضع والزواج " دار صادر بيروت ١٣٨٢ هـ
١٩٦٢ م " ج ٧ . الدكتور أحمد هيكل . الأدب الأندلسي " دار
المعارف بمصر ١٩٧١ ط ٦ " ص ٣٧٢ . المعلم بطرس البستاني .
دائرة المعارف " مؤسسة مطبوعات اسماعيليات طهران " ج ١ ص ٥٤٩ .
شارل بلات . مقدمة ديوان ابن شهيد " جمع " بيروت ١٩٦٣ م ط ١ .
وژيل الشك قول ابن شهيد نفسه في رسالة التواضع والزواج عندما سأله
(٤) الجنى عن من قاتل هذين البيتين :

اتيناك لآعن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشقوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * حمارا تلقى برنا بمققوق

قلت : جدى . ومن الثابت أن قاتل هذين البيتين هو أحمد بن عبد

الملك المسمى بذي الوزارتين . ابن بتمام ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٥) ابن بشكوال . الصلة " الدار المصرية ١٩٦٦ م " ج ٢ ص ٣٥٧

(١) للمؤيد عن هذه الأسرة انظر : ابن حيان . المقتبس " دار الكتاب العربي بيروت

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م " تحقيق : الدكتور محمود على مكى ص ٤٤٧ .

(٢) ابن الأبار . الحلة السيرة " الشركة العربية - القاهرة ط ١ ١٩٦٣ م " تحقيق

حسين مؤمن ج ١ ص ٢٤٨ .

وكان جد ابي عامر " احمد بن عبد الملك " من المقربين عند عبد الرحمن بن محمد الناصر ، فولاه الكوروقاد الصوائف وغزا البشكنس وتولى الوزارة وهو اول من سى " بندي الوزارتين " وكان من اهل الادب وهو صاحب الهدية المشهورة (١) التي ذكرها ابن خلدون فقال : " واهدى له هديته المشهورة المتعددة الاصناف ذكرها ابن حيان وغيره وهي مما نقل من ضخامة الدولة الأموية واتساع أحوالها ، وهي خمسمائة ألف مثقال من الذهب بالعين ، وأربعمائة رطل من التبر ، ومصارفه خمسة وأربعين ألف دينار . ومن سبائك الفضة مائتا بدرية واثنا عشر رطلا من الصود الهندي يختم عليه كالشمع ، ومائة وثمانون رطلا من الصمغ المتخير ، ومائة رطل من العود الشبه المنمى ، ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه وخمسمائة أوقية من المنبر الأشهب المفضل في جنسه على خليقته من غير صناعة ومنها قطعة ملطمة عجبية الشكل ، وزن مائة أوقية ، وثلاثمائة أوقية من الكافور المترفع الذكاء . ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء ، ومختلفة الالوان والصنائع ، وعشرة أقرصة من عالي جلود الفنك الخراسانية وستة من السراوقات المراقية ، وثمان وأربعون من الملاحف البغدادية لزيننة الخيل من الحرير والذهب ، وثلاثون شقة الضربون من الملاحف لسروج الهبات ، وعشرة قناطر من الصمغ فيها مائة جلد ، وأربعة آلاف رطل من الحرير المنزول ، وألف

(١) لهذه المعلومات انظر . ابن البار ج ١ ص ٢٣٨ .
(٢) ابن خلدون . كتاب الصبر وديوان المبتدأ والخبر " دار الكتاب اللبناني - لبنان ١٩٥٨م " القسم الأول ج ٤ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ . وانظر ايضا المقرئ . نفسم الطيب ، وانظر محمد عبد الله عنان . دولة الاسلام في الاندلس " مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٤ ١٣٨٩ - ١٩٦٩م " المصرد الأول - القسم الثاني ص ٤٦٠
(٣) هكذا في الأصل وهو خطأ نحوي والصحيح (واربعون) .

رطل من الحرير المنتقى للاستفزال ، وثلاثون بساطا من الصوف وعشر مائة منقاة مختلفة
ومائة قطعة معليات من وجوه الفرو المختلفة ، وخمسة عشر من نخاع الخنزير
المقطوع شطرها .

ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب ، والفتسرس
سلطانية ، ومائة الفاسهم من النبال البارة الصنعة ، ومن الظهر خمسة عشر
فرسا من الخيل العرب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعمت ، وعشرون من بغال
الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافيصة ، ولجم بغال مجالس سروجها خز جمعفسرى
عراقى ، ومائة فرس من عتاق الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات ، ومن
الرقيق أربعون وصيفا وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتتهن ومن سائر الاصناف
ومن الصخرسيات ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار ، وعشرون ألف
عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه بقيمته خمسون الف دينار . وعرضت
الهديفة على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها .^(١)

(٢)

ويروى لنا المقرئ قصة طريقه حدثت بين جد أبى عامر بن شهيد وبين وزير

آخر هو عبد الملك بن جمهور شاركه فى تدبير الأمور وكانت بينهما منافسة فجاء

ابن شهيد لزيارة ابن جمهور فتأخر خرج الاذن اليه فذهب غاضبا وقال فيه :-

(٣) .

اتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك ~~مشوق~~

ولكننا زرنا بفضل حلومنا * حمارا نولى برنا بمعقوق
فراجمه ابن جمهور يفض منه ، بما كان يشيع عنه ، بأن جد هاشم كان بيطارا بالشام
يقوله :

حجبتك لما زرنا غير تائق * بقلب عدو فى شياى صديق
وما كان بيطارا بالشام بموضع * ياشرفيه برنا بخليق

(١) وفى هذا دليل على الحضارة التى وصلت اليها الاندلس فى ذلك الوقت .

(٢) المقرئ ج ١ ص ٣٨

(٣) المقرئ ج ١ ص ٣٨١

أما والد ابن شهيد فقد كان من شيخ الوزراء في الدولة العامية يقول
عنه ابن يشكوال : " أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد • كان اوحده الناس
بالتقدم في علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار • وسائر ما يحا ضربه الملوك •
مع سعة روايته للحديث والآثار وهو مؤلف " كتاب التاريخ الكبير في الأخبار " •
على توالي السنين • بدأ به من عام الجماعة سنة أربعين وانتهى الى أخير
زمانه المنتظمة بوفاة رحمه الله • وهو أزيد من مائة سفر • "

وكان أبو مروان هذا عاملاً للمنصور على الجهة الشرقية بتدمير وبنسبية
لمدة تسعة أعوام حتى ستم العمل فكتب الى المنصور رقعة يقول فيها " ان كبير
حق المولى لا يذهب بصغير حق العبد • ولى حرمة أدل بها • وذمة انبساط
لها • وقد طال على الفرس • وسئمت الخدمة • وطلت من النعمة فالادالة
الاداله • فاداله • "

-
- (١) ابن يشكوال ج ٢ ص ٣٥٥
(٢) تدمير : بالضم ثم السكون • وكسر الميم • ويا ساكنة • وراء : كورة •••••
بالاندلس متصل بأحواز كورة جيان • وهي شرقي قرطبه • ولها معادن كثيرة
••••• وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد • قال الاديب أبو الحسن
على بن جودي الاندلسي :
لقد هيج النيران • يا أم مالك * بتدمير ذكرى ساعدتها المدامح
اياقوت الحموي • معجم البلدان " دار صادر بيروت " ج ٢ ص ١٩٠ •
(٣) بنسبية : السين مهمله مكسورة • ويا خفيفة : كورة ومدينة مشهورة بـ
بالاندلس متصلة بحوزة كورة تدمير • وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة • وهي
برية بحرية ذات أشجار وانهار • وتعرف بمدينة التراب • وتتصل بها مدن تمد
في جملتها • قال الشاعر :
بنسبية جنة عاليسية * ظلال القطوف بها دانيسه
عيون الرحيق مع السلسبيـ * لوعين الحياة بها جاريسه
اياقوت الحموي • معجم البلدان ج ١ ص ٤٩٠
(٤) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢

ومعد ان ترك ابو مروان العمل اصبح نديما من ندما المنصور يخضر مجالس
انسه ويبادل له شرب الاقداح من ذلك ما رواه ابن بسام ^(١) قال : " كان المنصور
قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالعيال ، فأمر باحضار الأصحاب ، واحضر الوزير
أبا مروان ، وأخذوا في شأنهم ، فمر لهم يوم من الطيب لم يشهد ، والوننة ممن
اللهم لم تصهد ، وطما الأمر وسما حتى تصايح القوم وتزافنوا ، ودار الدور ،
ثم انتهى الى الوزير ابن شهيد ، وكان لا يطيق القيام لنقرس كان يلازمه ، فأقامه
الوزير أبو عبد الله بن عياش ، فارتجل الشيخ ابياتا جعل يقود بها ونشد :

هاك شيخ قاده عذر لكبا * قام في رقصته مستهلكا
لم يطلق يرقصها مستثبتا * فانشى يرقصها متمسكا
عاقه عن هزها معتسدا لا * نقرس انحى عليه فاتكبا
طرب اللهو وقد حق لكبا * طربا ارضه حتى اشتكى
من وزير فيهم رقاصة * قام من طيب يناغى ملكا
انا لو كنت كما تعرفنسى * قمت اجلا لا على رأسى لكبا
قهقه الابرق منى ضحكا * ورأى رعشة رجلى فبكى ^(٢)

(١) ابن بسام : ١/٤ ص ١٧-١٨
(٢) ابن خلكان نسب هذه الابيات خطأ الى ابي عامر ابن شهيد في كتابه "وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٩-٤٠٠" ولكن محقق الكتاب وهو الدكتور احسان عباس تنبه الى ذلك فقال في الحاشية : " هذا الخبر ٠٠٠ لا يتصل بالترجم واما يروى عن ابيه فان ابا عامر صاحب الترجمة لم يدرك عهد المنصور بن ابي عامر " وان اصاب الدكتور احسان في الأولى فقد اخطأ في الثانية لأن ابا عامر ابن شهيد ادرك المنصور والدليل على ذلك نص صريح له في الذخيرة القسم الأول ج ١ ص ١٦٣ . ومما تجدر الاشارة اليه انه كانت امام المحقق عدة طرق لاثبات ان الخبر يروى عن والد ابي عامر من ذلك ان ابا عامر نفسه صرح بأن الشعر السابق ليس له وانما هو لوالده " الذخيرة القسم الأول ج ١ ص ١٧٧ ، وكذلك ان ابا عامر لم يصب بالنقرس وانما اصيب بالفالج وضيق النفس ، ودليل آخر هو البيت الذي يقول : هاك شيخ قاده عذر لكبا * قام في رقصته مستهلكا مما يدل على أن القائل شيخ كبير وليس من المعقول أن يكون ابو عامر شيخا في عهد المنصور .

وكان أيضا من اصحاب ابن شهيد رجل بغدادى يعرف بالكك^(١) له نوادر تضحك

..... فقال له - لابن شهيد - البغدادي : لله درك يا وزير ! تصلسى

بالقاعدة وترقى بالقائمة ! عتاب المجلس بهذا الكلام .

من كل ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد نجل تلك الاسرة الارستقراطية

المثقفة فكما رأينا جده شاعرا واديبا رأينا والده مؤلفا وكاتبنا وكل ذلك له اثر

كبسیر فی شخصیه ابن شهید وادبه كما سنرى .

(١) وقيل : الفكيك . انظر المقرئ . ج٠ ص ٢٦١

حياته :

(١) ولد ابو عامر ابن شهيد سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) في مدينة قرطبة
وهي آنذاك في ازهى عصورها التاريخية تخرج بالعلم والملاء ومجالس الأُدب
واللهو .

وعاش ابن شهيد في احضان النعيم والرفاهية كما هي الحال في ابناء السوزاء
والامراء فلعب بالذهب صغيرا كما يقول عن نفسه (٢) "صرت بين يلى المنصور في
يوم مطير ، وانا ابن خمس ، اذكر ذلك ذكرى لما كان بالاص ، وكان من اكرامه
لى ، ولطيف اهتمامه بى ، ما يطول به الكتاب ، ولا يحتمل الخطاب ، وعينيه
ومحضه ، وصريحه وزده : أنه وهبنى يوما تفاحة كانت بين يديه كبيرة ، ورائسى
انظر اليها نظر الكلف ، وأتأملها تأمل الشره ، فامرئى بالقبض عليها ، والمضى
فيها ، فضاقت فسى عن أن احيط بجز من اجزاء كرتها ، وصفرت كفى عن أن تقبض
الا بمخنق من مخائق أنحائها ، فجعل يقطع لى بغمه ، وطعمنى على حكمه
ودعا الناصر ، ومعنى فسى سمعتهم يكونه ابا شاعر ، فقال له : احمله الى أمك ، وأرفق
به فى أمك ،

ومر ابنى حتى انزلانى بين يدى السيدة ، واليه امر كل قيمه ، فاستوت بى
على سريرها ، وهلى مفرقتها اكليل من مهابة اميرها ، فلا انس ذلك البهاء فسى
ذلك البهو ، وذلك الحسور الى من قناع الزهو ، وطار الخبر بقدمى فى مقاصير

(١) كل المصادر تجمع على ذلك ما عدا الامير شكيب ارسلان فيقول ان ولادته كانت
سنة ٣٤٢ وهذا غير صحيح . الامير شكيب ارسلان . الحلل السندسية

ج ٣ ص ٤٥٢ .
(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٦٤ - ١٦٥

المقاتل ، وحجرات الكرائم . فأرقلن من تلك الصانع ، تطير بهن أجنحة
الصنائع ، فيالها من كسى وخلع ، وفرائب وبدع (وأمرت السيدة بالسف
تحمل موى عن نفسها ، وثلاثة آلاف عن سيدها ، فأنصرفت بالفنى ، من ذلك
الجنى ، ولم أصرف الى المنصور حتى صرت عند ابى ، وقد ظننت أنه متجساف
عنه لى ، أو تارك منه موى ، وكانت لى فيه آمال من التوزيع على الخدمة والمصال
من الصبيان وصبايا الجيران . أمر ففرق منه على بطائه ، وأشار بحمل باقيسه
الى خواتمه فظلمت واجما ، وطفقت راعما ، أطفى من جمرتى فتذكو ، وأخفى
من لومتى فتبدو ، وبلغ ذلك المنصور ، فوجه نحوى بخمسة دینار ، وأقسم
على ابى بحياته الا يمتحنى منها ، وأن يدعنى بحكمى فيها ، فبادرت بالركب
والرجل ، واخذت فى البذل والعطاء ، وحبوت بأجزل الحبا ، والخيل
اذ ذاك نخب من قصب ، والدرق قشور من خشب ، فيومى مذكور فى منيسة
المفيرة الى الآن .

وبالطبع كان لتلك الحياة الارستقراطية اثر كبير على سير حياة ابن شهيد
فقد غلبت عليه البطالة وقاده هواه الى التهلك والانغماس فى الشهوات .

وكان للحياة الاجتماعية اثر ملموس على حياة ابن شهيد فقد كانت قرطيسية
فى ذلك الوقت وقيل ان تشتمل فيها نيران الفتنة تعيش فى امن وسلام
وينعم اهلها بالرخاء والاستقرار مستمتعين بجمال الطبيعة الذى ساعد على
صفا نفوسهم ويلبسون اجمل الثياب ويتفننون فى العمران وزخرفة

(١) فى هذا دليل على ان الكرم عادة لازمت ابن شهيد منذ الصغر .

(١)
المنازل .

وكان ابن شهيد يجلس في " حير الزجالي " خارج باب اليهود يكمل
ناظره بجمال الطبيعة وتناول اقداح الخمر ويجاذب اصدقاءه اطراف -
الاحاديث والاسمار الادبيه يقول المقرئ : (٢)
" وهذا الحير من ابداع المواضع
واجملها ، واتمها حسنا واكملها ، صحنه مرمر صافي البياض ، ويخترقه جسود
كالحيمة النضاض ، به جابية وكل لجة بها كابية ، قد قربعت بالذهب واللازورد
سماؤه ، وتآزرت بها جوانبه وأرجاؤه ، والروض قد اعتدلت أسفاره ، وابتسمت
من كطامها أزهاره ٠٠٠ وكانت لأبى عامر بن شهيد فح وراحات اعطاه
فيها الدهر ما شاء ، ووالى عليه الصحو والانتشاء ، وكان هو صاحب الرض -
المدغسون بازائه أليف صبوة ، وحليف نشوة معكفا فيه على جريالهما ، وتصرفا
بين زهوهما واختيالهما ، حتى رداهما الردى بعداهما الحمام عن ذلك المسدى
فتجاورا في العماة ، وتجاورهما في الحياة " .

وكان العيش في عرف ابى عامر ابن شهيد كأسا متعة روجها حسنيتها
(٣)
وفتية جعلوا السرور شمارهم ، وادبا يزين به هذه المجلس يقول ابن شهيد : -

(١) للمزيد انظر . لافى بروفتصال . صفة جزيرة الاندلس منتجه من الروض المعطار
للحميرى " لجنة التأليف والنشر . القايره ١٩٣٧ م " ص ١٥٣ ، وانظر
محمد عبدالله عنان . الآثار الاندلسيه الباقية " مؤسسة الخانجى بمصر
ط ٢ ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م " ص ١٨ وما بعدها .
(٢) المقرئ ج ١ ص ٦٣٥
(٣) ابن خاقان . الموطوع ص ١٩

(١)

- ولرب حان قد شمت بديـره * خمر الصبي مزجت بصرف عصيـره
في فتية جعلوا السرور شعارهم * متصاعرين تخشما لكبيـره
والقمس ما شاء طول مقاننا * يدعو بمود حولنا بزبيـوره
ينهدى لنا بالراح كل مصفر * كالخشف خفـره التـصاح خفيـره
يتناول الطرفاء فيه وشربهم * اصلافهم والاكل من خنزيرـه

ولمخ من تهتك ابن شهيد انه يعمرض للحرائر ونات الاعيان في ليال
اشد ما يكون فيها المرء ارتباطا بخالقه من ذلك ما رواه الفتح بن خاقان من
انه عمرض لاحدى بنات الاعيان وكانت ذاهبه الى الصلاة في ليلة سبع
وعشرين من رمضان : ^(٢) وقد هربت منا حين رأت فأنشأ فيها قصيده منها هـذه
الآيات :-

- وناظرة تحت طى القناع * دعاها الى الله والخير داع
سمت بابنها تبتفى منزلا * لوصل التبتل والقطـاع
وجالت باكافه جولـة * فحل الربيع بتلك البقـاع

الى آخر القصيده .

x x x x x

وكانت الحياة الثقافية في قرطبه نشيطة جدا بل انها برزت بقية مدن الاندلس
في هذه الناحية - في ذلك الوقت - فقد كان الملما والادباء والاعيان

(١) هكذا عند ابن خاقان والأصح أن تكون " الصبا " بالألف المدودة كما
في الذخيرة ص ٢٢٢ والديوان ص ١١٥
(٢) يعقوب زكى . الديوان ص ١٢٤

يتسابقون الى شراء الكتب وكانت مجالسهم تزدهر بالمناظرات الادبية والمناقشات
المعلمية مما جعل الحركة الثقافية تبلغ ذروة مجدها حتى انه قيل عن قرطبه^(١)
هي اكثر بلاد الاندلس كتبا ، واشهد الناس اعتناء بخزائن الكتب ، صار ذلك
عندهم من آلات التعمير والرياسة ، حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنسيده
معرفة يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب ، ومنتخب فيها ليس الا ان يقال :
فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس هو عند احد غيره ، والكتاب
الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به .

(٢)

وقيل ايضا " اذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة
حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ،
قال : وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا .

وكل هذا بلا شك كان له اثر واضح في ثقافة ابن شهيد مما جعله واسموسع
الاطلاع غزير المعرفة يناظر الادباء ويناقش العلماء في جميع المواضيع وشمسي
الفنون . فما لا شك فيه ان للبيئة اثرا كبيرا على صاحبها .

x x x x

ولجياة ابن شهيد ارتباط وثيق بالتطورات السياسية التي مرت بها قرطبة
فقد كان ابن شهيد مواليا للعامرين ينعم في خيراتهم ومستظل بظلمهم وكسان
الناس يعيشون في دعة وسلام حتى شبت نيران الفتنة عام ٣٩٩ هـ على يد المهدي

(١) المقرئ ٠ ج ١ ص ١٥٥

(٢) " ٠ ج ١ ص ٤٦٢

الذى استطاع ان يتخلص من الدولة العامرية بقتل عبدالرحمن بن ابي عامر ،
وتسلم السلطة فى قرطبة ، ولكن المستميين بالله — وهو اموى آخر — لم
يمهل المهدي فى الخلافة فقد تزعم البرابرة الذين تحالفوا مع النصارى وقتلوا
اهل قرطبة فى وقعة " منيتش " التى هرب بعدها المهدي ثم
استعان بالافرنجة وعساكر الثفور ودخل قرطبة من جديد ، ولكن
جيشه لم يتحمل بقاءه فقتلوه ونصبوا هشاما المؤيد ، ولكن المستميين
عاد فملك الامر ، وفى تلك الآونة كان انصار العامريين يكتابون على بن حمود
فذكروا له ان المؤيد ترك له عهدا بالخلافة مما دعاه الى دخول قرطبة وقتل
المستميين فانظم الامر لبنى حمود .
(١)

(٢)

هذه لحظة موجزة عن تلك الفتنة الشنيعة التى بليت بها قرطبة
مما ادى الى خراب قصورها ودمار حصونها وقتل مشايخها وهلى رأسهم امام جامع
قرطبة سعيد بن منذر بن سعيد ، فقد كان لهذه الفتنة اثرى على العلم
والعلماء ونهم ابن شهيد الذى يقول فى هذا الضمار : " وان الفتنة نسخت
للاشياء ، من العلوم والأهواء ، ترى الفهم فيها باثر السلعة ، خاسر
الصفحة يلعب باعين الشنان ، ويستقل بكل مكان . هذا دأبنا وحرينا ."

- (١) انظر هذه المملومات فى ابن عذارى . البيان المغرب " ج ٣ ص ١٥٤
وعابرها
- (٢) انظر عبدالواحد المراكشى . الموجب فى تلخيص اخبار المغرب " القاهرة
١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م " تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ص ٨٦ .
- (٣) ابن حزم الظاهرى . طوق الحمامة " المكتبة التجارية بمصر ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م
تحقيق الاستاذ حسن كامل صيرفى ص ٤٥ .
- (٤) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩

ولكن فيما يبدو وأنه قد سمى الواشون بينه وبين هذا الخليفة مما أدى الى
(١)

سوء العلاقة بينهما يقول ابن شهيد : " أما ابو محمد ، فانتضى علسي

لسانه عند المستعين ، وساعده زرافة استهواها من الحاسدين " أما يحيى

بن حمود المعتلى بالله فقد كانت بينه وبين ابن شهيد صداقة متينة ومدحه
(٢)

بقصائد عديدة حتى انه فكر باللحاق به عندما خرج من قرطبه الى مالقه يقول

في مطلع احدى قصائده :-

أرى أعينا تنزوا الى كأنما * تلور منها جانبى أراقم

وإذا كنا نراه مجرد مادح لمن سبق من الخلفاء فانه قد وصل الى درجة
(٣)

الوزارة عند الخليفة المستظهر بالله والذي لم تدم خلافته سوى سبعة واربعين

يوما فقط وذلك لم يتمتع ابن شهيد بتلك الوزارة مدة كافية من الزمن حتى يرضى

طموحه الذى كان يلازمه .

أما مع الممتد بالله فانا نجد نديما من ندمائه كما يقول ابن الحناط الكهيف
(٤)

عندما سئل عن هذا الخليفة فقال : " يكفى من الدلالة على اختياره أنه استكتبنى

واتخذ ابن شهيد جليما !) وكان ابن الحناط اعنى وابن شهيد اصم .

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٣

(٢) " " ١/١ ص ٢٧٥ ، الديوان ص ١٥٣

(٣) انظر المقرئ ج ١ ص ٤٨٨

(٤) ابن سعيدي ص ١٢٣ .

من كل هذا يتبين لنا أنه كان للسياسة أثر فعال على حياة ابن
شهيد فكما ذاق حلاوة الوزارة ، تجرع مرارة السجن فمهر عن ذلك
في شعره ونثره .



شيوخه :

(١)

جلس ابن شهيد الى الاساتيد في اول حياته كما يقول هو ولكننا لم نعثـر
على اية اشارة تدل على ان له شيوخا معروفين تلقى على ايديهم العلم
والادب . وفيما يبدو انه تلقى أكثر علمه عن طريق الاستفادة من ابيه ومن الكتب
(٢)
التي كان يقرأها وارتياد تلك المجالس الادبية التي تعتبر بمثابة ندوات ومحاضرات
عليه .

وفي الواقع ان عدم معرفة شيوخ ابن شهيد الصقت به عيبا عند ناقديه
في ذلك الوقت كما يقول في رسالة " التوايح والزوايح " على لسان ابن الافليس
(٤)
احد اعدائه : " فتى لم اعرف على من قرأ " ما يدل على ان هذا كان
يضايقه جدا .

لكن ابن شهيد افاد كثيرا من صديقه وحيمه ابي محمد ابن حزم الذي كان
يلتقى معه دائما للتباحث في المسائل العلمية . وكان كل منهما معجبا بما عند

-
- (١) ابن بسام ١/١ ص ٢١١
(٢) هذا يخالف ما ذهب اليه ابن حيان من ان ابن شهيد كان قليل الاقتناء
للكتب ولكن في حقيقة الامر ان الرجل من خلال كتاباته وثقافته الماهية يسدل
على انه مثقف وقرأ كتباً ليست قليلة . والشك الذي تطرق الي ابن حيان
مصدره نص ابن شهيد الذي يقول فيه : " وسير المطالمة من الكتب يفيد
في ٢٢ ابن بسام ص ٢١١ . ولكن هذا لا يعطى الدليل القاطع على أن ابن
شهيد لم يقرأ كتباً ثقافية .
(٣) انظر ترجمته في الهن بسام . الذخير ١/١ ص ٢٤٠ .
(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢١١ .

(١)

الآخر فيتبادلان الزيارات الوديه كما يحكى لنا المقرئ : " وحكى
ان الحافظ ابا محمد بن حزم قصد ابا عامر ابن شهيد في يوم غزير
المطر والوحل شديد الريح ، فلقيه ابا عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ، وقال
له نيا سيدي ، مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم : فأنشده ابو محمد ابن حزم
بديها :-

فلو كانت الدنيا دونك لجة * وفي الجو صمق دائم وحريق

لسهل ودي فيك تحوك مسلكا * ولم يتعذري اليك طريق

(٢)

ومن اصدقائه ايضا الاديب القدير ابو المغيرة بن حزم الذي اشتهر
(٣)

بالكتابة وكان شاعرا مجيدا يقول عنهما ابن خاقان : " وكان هو و ابو عامر ابنا
شهيد خليلي صفاء ، وحليفي وفاء ، لا ينفصلان في رواح ولا مقيلا ، لا يفترقان
كمالك وعقيل " .
(٤)

(١) المقرئ . ج ٢ ص ٨٣

(٢) انظر ترجمته في الحميدى . ص ٢٩١

(٣) ابن خاقان . المطمح ص ٢٢

(٤) مالك وعقيل هما نديما جذيمة الابوش اللذان اتياه بابن اخته عمرو بن عدي
الذي يقال ان الجن استطارته فقال لهما جذيمة : " احتكما فلكما
حككما . قالا : مناديتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما . فضرب
بهما المثل قال ابو خراش الهذلي :

الم تملى ان قد تفرق قلبنا * خليا صفاء مالك وعقيل
انظر الاغانى لابي الفرج الاصفهاني " دار الثقافة بيروت ١٩٥٨م " تحقيق
عبدالستار حزاج ج ١٥ ص ٢٥١ .

ويقول متم بن نويرة في رثاء اخيه مالك :

وكنا كدمانى جذيمة حقيسة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
ابوزيد القرشي جمهرة اشمار المرب " دار نهضة مصر القاهرة ط ١
تحقيق على محمد البجاوى ج ١ ص ٧٤٩ .

احتك ابن شهيد بالادباء والعلماء والشعراء ما ادى الى صقل
موهبة واقاديه فائدة كبيرة نستشف ذلك من خلال قصائده الرائعة واديبه
الجيد .

وفي الواقع ان الذي يهمننا هو تقدير ادب ابن شهيد نفسه واما من ناحية
عدم معرفة شيوخه فهذا لا ارى فيه اى غشاضة عليه فكم من انسان حصل
الثقافة عديم العلم وشيوخه من المباقرة العظماء .

آثاره :-

- (١)
١- " كتاب كشف الدك وايضاح الشك " وهو مفقود ولكن فيما يبدو
(٢)
انه في علم الحيل والخرافات .
- ٢- " حانوت عطار " وهو مفقود ايضا الا انه توجد منه بعض النصوص
(٣) (٤) (٥)
في جذوة المقتبس ، والمغرب ، واحكام صنعة الكلام ، وذكر
(٦)
في بعض الكتب باسم " حانوت العطار " وهو كتاب ادبي نقدي يقول
(٧)
عنه الدكتور احسان عباس : " فانه لم يصلنا ولكن الحميدى نقل عنه
في " جذوة المقتبس " وتدل نقوله على ان الكتاب تراجم لشعراء
الاندلس ، فهو سابق لكتاب " الاموذج " في هذا الضمار .

- (١) ابن خلكان . ج ١ ص ٩٨
(٢) يقول حاجي خليفة : " غلم كشف الدك . . . هو علم تعرف منه الحيل المتعلقة
الصنائع الجزئية من التجارات وصنعة السمن واللازورد واللعل والياقوت وتفسير
الناس في ذلك ولما كان مبناه محرما اضربنا عن تفصيله . . . كشف الدك
وايضاح الشك - لأبي عامر احمد بن عبد الملك الاندلسي المتوفى سنة
كتاب مشهور في علم الحيل والشمبذة . كشف الظنون " مكتبة المتنبي
بغداد " ج ١ ص ١٤٨٩ .
(٣) الحميدى . ص ٤٠١
(٤) ابن سعيد . ص ٨٥
(٥) الكلاعي . ص ٤٧
(٦) ابن دحيه المطرب . ص ١٦٠ ، حاجي خليفة . كشف الظنون ج ١ ص ٦٢٤
(٧) احسان عباس . تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٧٦

ولكن في الواقع ان كتاب " حانوت عطار " لم يكن مقتصرًا على شعراء الاندلس
— كما يقول الدكتور — وانما تكلم المؤلف فيه عن شعراء (١) المشرق مثل ابي
تمام الطائي و ابي الطيب المتنبى والدليل على ذلك قول الكلاعي : " ان
اختيارى القصيدة : ان تكون نحو الاربعين بيتا ، لأن الطول في الغالب
مطلوب . وهذا المدد من ابيات القصيدة كان غاية الطائي والجمفي فسي
اكثر قصائدهما . وربما زعم بعضهم ان ذلك من هذين الفحلين لضيق عطن . وقد
اشار الى شي من هذا ابو عامر في : حانوت عطاره ."
(٢)

٣- رسالة " التوايح والزوايح " وهو العمل الذي اكتبه ابن شهيد شهيرة
كبيرة في الوسط الادبي ولعل ذلك راجع الى اقتران هذه الرسالة برمالة
" الففران " للفيلسوف العربي ابي العلاء الممري .

ورسالة " التوايح والزوايح " رحلة خيالية الى باطن الارض استعرض
ابن شهيد من خلالها آراء كبار الادباء العرب وجمعهم يعترفون به كشاعر
واديب بل انه في بعض الاحيان يرى انه متفوق عليهم .

والرسالة محشوة بالملاحظات النقدية الهادفة والتي سوف نعرض لها
في مكانها المناسب ان شاء الله .

ومن الملاحظ ان الباحثين ابدوا واعادوا في قضية ايها سبق رسالة " التوايح
والزوايح " أم " رسالة الففران " لأن كلا الاديبين عاش في عصر واحد وقاسم

(١) الكلاعي . احكام صنعة الكلام ص ٤٧
(٢) وتسمى ايضا " شجرة الفكاهة " انظر الحميدى ص ٣٧٤ .

بحمل مشابه من حيث الفكرة ، فاختلقت الآراء وتمددت وجهات النظر وكثرت الاستنتاجات حول هذا الموضوع .

وسواء أكان المعمرى سابقا على ابن شهيد أم العكس فان ذلك لا يقلل من شأن احدهما لأن لكل منهما مجاله الخاص به وشخصيته المستقلة التي تميزه عن الآخر . ونستطيع ان نلخص ذلك في ثلاث نقاط :-

أ - ان فكرة الخروج عن هذا العالم اقدم من المعمرى وابن شهيد فقد ظهرت في القرن الثالث الهجرى تحت تأثير قصة الاسراء والممرج في شكلها الاسطوري فظهرت في الادب السهلوى الذى كان يكتب في ذلك الوقت وتمثل ذلك في رسالة " اردای فيراف نامه " كما ظهرت في الادب العربى في كتاب " التوهم " للحارث بن اسد المحاسبى المتصوف المشهور .

ب - ان موقف ابن شهيد من رحلته يختلف عن موقف المعمرى من رحلته . فابن شهيد يرحل الى عالم الجن وهو عالم دنيوى فى حين ان رحلة المعمرى الى الجنة وهى عالم اخرى . ثم ان ابن شهيد لا يؤمن بوجود العالم الذى يتحدث عنه كما يظهر ذلك من رسالته فى حين ان المعمرى كان يؤمن بوجود الجنة او على الأقل يجارى الايمان العام بوجودها لدى قرائه .

ج - ان المخلوقات الموجودة فى عالم ابن شهيد لها طابعها الخاص وهو الالهام الذى يقيم صلة خاصة بينها وبين بنى البشر . فى حين ان الموجودات فى عالم الآخره الذى صوره المعمرى ليست لها صلة خاصة بالناس بل ان بعضها هم الناس الذين ماتوا قبل كتابة الرسالة .

(١)

وما يجد ذكره ان رسالة " التوايح والزوايح " لم تصلنا كاملة وانما ذكرت
فصول منها في كتاب الذخيرة وقد جمعها الاستاذ بطرس البستاني مع دراسية
تاريخيه عن حياة ابن شهيد في كتاب مستقل مطبوع .

(٢)

٤- " ديوان ابن شهيد " : جمع ديوان ابن شهيد وحققه الاستاذ يعقوب زكي
في رسالة دكتوراه — كما ذكر في مقدمه — صدره بدراسة تاريخية عن

جوانب من حياة ابن شهيد .

(٤)

وجمه ايضا الاستاذ " شارل بلات " عام ١٩٦٣م وكتب مقدمته الاستاذ
بطرس البستاني .

٥- " الرسائل النقدية " وتمدهم عمل قام به ابن شهيد لأن فيها آراء جديدة
واستنتاجات مبتكرة يرجع الفضل فيها الى ابن شهيد وهذه الرسائل سوف
نعالجها بالتفصيل في الفصول الخاصة بالنقد . والقسم الأكبر منها في
كتاب الذخيرة لابن بسلام .

(١) ابن بسلام ١/١ ص ٢٣٨

(٢) بطرس البستاني . رسالة " التوايح والزوايح " دار صادر بيروت ١٣٨٧هـ
— ١٩٦٢م

(٣) الاستاذ يعقوب زكي . ديوان ابن شهيد " دار الكتاب العربي القاهرة
راجعه د : محمود مكي .

(٤) شارل بلات . ديوان ابن شهيد " دار المكشوف بيروت ١٩١٣م ط ١

٦- " الرسائل الادبيه " . وهناك رسائل اخرى لابن شهيد يصف فيها
البرد والنار ، ووصف الحلوى ، والبرغوث ، والماء ، والثعلب ،
والبعوضه وغير ذلك . وله رسائل اخرى الى الخلفاء والوزراء . ذكرت كل
(١)
هذه الرسائل في الذخير واليتمه وغيرها من الكتب .

(١) يذكر الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم محقق كتاب " بدائع البدائيه "
العلی ابن ظافر في فهرس الكتب ص ٤٨٨ ان لابن شهيد كتابا
يسمى " الفرائب الماضيه " . وعندما رجعنا الى النص في نفس الكتاب ص
٣٥٤ وجدنا المؤلف يقول : " فكتب الوزير ابو مروان عبد الملك بن شهيد والسد
الوزير ابي عامر احمد صاحب الفرائب الماضيه في هذا الكتاب . "
والمقصود من ذلك الشهادة والاطراء على ابي عامر ليس اكثر من ذلك . ولكن
فيما يبدو ان الامر اختلط على المحقق فظن ان المؤلف يسمى كتابا
لابن شهيد بهذا الاسم .

مقومات شخصيته :-

كان ابن شهيد أصم ومخاني كثيرا من تلك الماهة التي قدمت به عن منصب
(١)

الكتابه كما يقول هوبل انها اصبحت مجالا للتدريه والخط من شأنه عند حاسديه
(٢)

امثال ابن الحناط الاعصى الذى يقول حينما سئل عن هشام الممتد : " يكفى

من الدلالة على اختياره انه استكبنى واتخذنا بن شهيد جليسا !) وكان ابسن

الحناط اعصى وابن شهيد اصم ."

كذلك كان ابن شهيد رجلا أطلس وهو الذى يميل الى الصواد يقول فى رسالة
(٣)

" التوابع والزوابع " : " فتبسم الى وقال : أهكذا انت يا أطلس ، تركب

لكل نهجه ، وتمج اليه عجه ؟ فقلت : الذئب اطلس ، وان التيس

ما علمت ! ."

(٤)

وما يتصف به ابن شهيد رداءة الخط ولكنه يبرر ذلك بقوله : " ادم الله

يا أخى حفظك ، وسدد لفظك ولحظك . بلغنى - اعزك الله - أنك عبتنى

بغموض الخط وضعف حروفه ، ولم تعلم ان خطوط العلماء ضعيفه ، وان خطوط

الخلفاء لطيفة ، وان ذلك من معالم السؤدد بينهم ، ودلائل الكرم فيهم ."

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٨

(٢) ابن سعيد ص ١٢٣

(٣) ابن بسام ١/١٠ ص ٢٣٠

(٤) الكلاصى ص ٤٧

وأن ضعف الخط تبيعة علقت على جيد اللفظ ، وأن منزلته من الكلام منزلة الكلف
من بدر التمام . . .

ولكن هذا الرأي جانب الصواب لأن فيه شيئا من المبالغة .

أما اخلاق ابن شهيد فنستطيع ان نلخصها فيما يلي :-

١- لهوه ومجونه : يقول ابن حيان : ^(١) " رجل غلبت البطالة فلم يحفل ^{عليه} نفسه

آثارها بخياع دين ولا مروءة ، فحط في هواه شديدا حتى أسقط شرقه ،

ووهم نفسه راضيا في ذلك بما يلذ ، فلم يقصر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة . . .

لكن يجب ان نعلم ان العصر الذي عاش فيه ابن شهيد كان له دخل كبير

في مجونه ولهوه واستهتاره بالقيم والمبادئ . . . كذلك ناحية اخرى لها

اثرها الفمالي في ذلك وهو " الصمم " الذي يمانى منه هذا الرجل

ما دعاه الى التفيس عن ذلك بشرب الخمر وقضاء الوقت بين الندماء والوجوه

الحسان يقول ابن شهيد عن اصدقائه : " اجل ما بيننا ارتضاع الكاس ،

وشم الاس ، والجري في حافات الصبا ، والصيد بالسكر في الربى . . .

٢- الكرم : - كان ابن شهيد كريما جوادا يندل العطاء للمستحقين ويساعد

ذوي الحاجه وهناك بعض القصص التي تحكى كرمه وجوده من ذلك ما رواه

(٢)

ابن دحيه عن قصة الرجل الذي اتى من طليطله هو وابناؤه يلتمسون

المساعدة والمون من الكرماء فارشده الناس الى بيت ابى عامر ابن شهيد

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢

(٢) ابن دحيه ص ١٥٨ - ١٥٩

فاجزل له العطاء فضحه اموالا واعطاه دارا وملابس فاخره الى غير ذلك . وكل هذا يعطينا صورة صادقة عن كرم ابن شهيد الذي ملأ الافاق واشتهر بين الناس . ولكن آفة الكرم الفقر - كما يقال - فقد شارف ابن شهيد الاملاق لان البطالة كانت غالبية عليه ولكنه بقى على هذه الحال " لا يلقى شيئا ولا يأس على فائت " حتى مات رحمه الله .

٣- العزة والافتخار : كان ابن شهيد يمتز بنسبه في اكثر الاحيان وفاخر

(٣)

باسرته ومجد اجداده يقول مخاطبا نفسه : " ثكلتك المكارم يا ابن الاكارم !

الست من اشجع في الملاه ومن شهيد في الذرى . "

(٤)

وقول كذلك :-

والنفس نفس من شهيد سنخها * سنخ غدت منه الملا يلبانها

(٥)

وقول ايضا :-

من شهيد في سرها ثم من أش - جع في السر من لباب اللباب

(٦)

ومن جيد قوله في هذا المضمار :-

ان الكريم اذا نالته مخصصة * ابدى الى الناس شيئا وهوطيان

يحنى الضلوع على مثل اللظى حرما * والوجه غمر بماه البشر ملان

ولو تصفحنا كتابات ابن شهيد لرأينا في اكثر من موضع يقول : " تنفضت تنفض

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢

(٢) الحميدى ص ١٣٦

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٥

(٤) الديوان ١٦٢٠

(٥) ٨٢

(٦) ابن دحية ١٣٥

(٧) ابن بسام ١/١ ص ١٢٢

العقاب ، وهزنتى آريحيات الشباب ، وقام بوهى انى ملأت الأرض بجسمى
فأومات الى الجوزاء بكفى ان تأملى ."

ولكن هذه السجيه بالذات اثار عليه غضب خصومه وحاصديه مما جعلهم
يهاجمونه مهاجمة عنيفة قد عونه بشديد القول ومن اولئك ابن الحناط الكيفى
الذى يقول : " وأخونا أبو عامر يسهب نثرا ، وطويل نظما ، شامخا بأنفه ، ثانيا
من عطفه ، متخيلا أنه قد احرز السباق فى الآداب ، وارتى فصل الخطاب ."

ومن يقرأ رسالة " التوابع والزواج " يجد ان هذا الشموس لا يكاد يفارق
ابن شهيد مع اكثر من قابلهم من توابع الشعراء والكتاب فيخرج غالبا لا مغلوما . ويمكن
تفسير ذلك باحد امرين :

اما لأنه حرم من المناصب التى كانت لآبائه واجداده فاحس بالظلم مما جعل
عنده رد فعل اليم اراد ان يخطيه بكبريائه وفخريه .

او انه من غرور العلماء الذى جعله ينظر الى من حوله بأنهم اقل منه درجة
وهذا مالا يستحسن من المالم الجليل .

ولكن على اى حال اذا كان لهذه الصفة مساوى فان لها محامى ايضا يقسول
الدكتور احسان عباس : " وابن شهيد اقرب الى عالم النقد من صاحبه لان اعجابه
(٢) (٣)

-
- (١) ابن بسام ١/١ ص ٣٨٥
(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب " دار الامانه بيروت :
١٣٩١ م ط ١ " ص ٤٧٦ .
(٣) يقصد ابا محمد ابن حزم الفقيه المعروف .

الذات بنفسه وضعه موضع التفرد - في نظر نفسه عند ازاء الآخرين
ولهذا كان العامل الموجه في مذهبه النقدي هو ايمانه بطريقته في العمل
والنثر .

٤- حصافة الرأي : - كان ابن شهيد حصيف الرأي صادق المشورة يقول ابن
حيان :^(١) " كان من اصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلم عنه في ذاته . " .
وهذا يدل على انه كان رجلا مرموقا يستشيره الناس في امورهم وشؤون حياتهم
وتمبير ابن حيان بالضلالة في ذاته لأنه كان يعاقر الخمر وجاهر بالمنكر .
(٢)

٥- الفكاهة : - اكرم من ترجم لابن شهيد وصفه بأنه كبير الهزل لاذع النكتة
سريعها وتضح ذلك من خلال شعره ونثره الذي يحل في اكثر الاحيان
الى الفكاهة .

بل ان اسرة ابن شهيد اشتهرت بهذه الميزة كما^(٣) يقول بيريس ان ادب هذه
الاسرة يتميز بطابع يسمى *huoristique* (الميل الى الدعابة) .

وقد يكون لحياة ابن شهيد دخل كبير في اتصافه بهذه السمة لأنه كما مر بنا
عاش حياة لاهية ماجنه بين اصدقاء يسمون وراء المرح والسرور ومن المعروف ان مثل
هذه الاجتماعات تحتاج الى الفكاهات والنوادر التي تضي على المجالس الفرح
والمتعة .

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢

" من المنجيب في تشابه الحظوظ أن النقاد الفرنسيين يصفون " لافونتين " بهذا
الوصف فيذكرون (انه كان من اصح الناس رأيا لمن استشاره وأضلم عنه في ذاته)
وما اكبر ما يتشابه رجال الأدب " الدكتور زكي مبارك ج ٢ ص ٣٧١

(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢

(٣) يعقوب زكي . مقدمة الديوان ص ١٣

٦- حبه لقرطبه : لقد كان ابو عامر يحب قرطبة حبا شديدا لانها مسقط
رأسه ومرتج صباه ووطن ذكرياته وقيل انه لم يفارقها الا مرة واحدة وهي
اليها . وحتى بعد الفتنة وبعد ان صارت خرابا ودمارا ظل ابن شهيد
تمسكا بحبه لها وسميها العجوز (١) البجرا يقول في ذلك : (٢)

عجوز لمر الصبا فانيه	*	لها في الحشا صورة الفانيه
زنت بالرجال على سنهيا	*	فياحذا هي من زانيه
تريك المقول على ضعفها	*	تداركما دارت السانيه
فقد عنيت بهواها الحلو	*	م فهي براحتها عانيه
تقاصر عن طولها قونكة	*	وتبعد عن غنجها دانيه
ترديت من حزن عيش بها	*	غراما فيا طول احزانيه

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٢٥

(٢) الديوان ص ١٦٨

(٣) هذا الشطر مكسور حتى في الأصل وهو الذخير و مستقيم اذا حذفنا
التاء المربوطة من آخره فنقول : " قونك " ولملها كلمة امهانيه
استعملها ابن شهيد .

علته ووفاته :-

(١)

يقول ابن بسام : " ولما طال بابن عامر ألمه ، وتزايد سقمه ، وغلب عليه

(٢)

الفالج الذي عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة

لم يمدمه حركة ولا تقلبا ، وكان يمشى الى حاجته على عصا مرة ، واعتمادا على

انسان مرة ، الى قبل وفاته بعشرين يوما ، فانه صار حجرا لا يروح ولا يتقلب ،

ولا يحتمل أن يحرك لعظيم الأوجاع ، مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبر

حتى هم بقتل نفسه ، وفي ذلك يقول من قصيدة :

- | | | |
|------------------------------|---|-------------------------------|
| انوح على نفس واندب نهلها | * | اذا انا في الضراء أزمعت قتلها |
| رضيت قضاء الله في كل حالة | * | على واحكاما تيقنت عدلها |
| اظل قميد الدار تجتنبني العصا | * | على ضعف ساق او هن الصقر جلها |
| وأنى حسيات ابن آدم عاملا | * | براحة طفل أحكم الضر نملها |
| الارب خصم قد كفيت ، وكربة | * | كشفت ، ودار كنت في المحل ولها |
| ورب قريض كالجريض بعثته | * | الى خطبة لا ينكر الجمع فضلها |
| فمن يبلغ الغيان أن أخاهم | * | أخوفتة شتما ، ما كان شكلها ؟ |
| عليكم سلام من فتى عضه الردى | * | ولم ينس عينا أثبتت فيه نهلها |
| يبين وكف الموت يخلق نفسه | * | وداخلها حب يهون شكلها |

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) يقول الحميدى ان علته " ضيق النفس والنفخ " ص ١٣٦ وفيما

يبدو أن جميع هذه الأمراض قد تكالبت على ابن شهيد .

وضاق ابن شهيد بالحياة ذرعا فهدأ يخفف عن نفسه بمراسلة اصدقائه
(١) (٢)
وشكوى الحال اليهم يقول الحميدى : * أخبرنى ابو محمد على بن احمد
قال : كتب الى ابو عامر بن شهيد فى عنته بهذه الأبيات :-

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ولما رأيت العيش لوى برأسه * | وايقنت أن الموت لا شك لاحقى |
| تمنيت أنى ساكن فى غيابه * | بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق |
| أرد مقيط الحب فى فضل عينتى * | وحيدا واحصو الماء ثنى المفايق |
| خليلى من ذاق المنية مرة * | فقد ذقتها خمسين قولة صادق |
| كانى وقد جان ارتحالى لم أفتر * | قدىما من الدنيا بلمحة بشارق |
| فمن مبلغ عنى ابن حزم ء وكان لى * | يدا فى ملماتى وعند مضايقتى |
| عليك سلام الله انى مفسارق * | وحسبك زادا من حبيب مفسارق |
| فلا تمنس تأتىنى اذا ما فقدتنى * | وتذكار أيامى وفضل خلافتى |
| وحرك له بالله من أهل فننا * | اذا غيبونى كل شهم غرائسقى |
| عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه * | بشرجيع صار أو بتطريب طسارق |
| فلى فى ادكارى بمد موتى راحة * | فلا تضمنونها علالة زاهسقى |
| وانى لأرجو الله فيما تقدمت * | ذنوبى به ما درى من حقائسقى (٣) |

(١) الحميدى ص ١٣٤
(٢) هو ابو محمد ابن حزم العالم المشهور صاحب المؤلفات المديدة .
(٣) رد ابن حزم على ابن شهيد قصيده على نفس البحر والقافية مطلعها :
ابا عامر ناديت خلا مصافيا * يفيدك من دهم الخطوب الطوارق
انظر الحميدى ص ١٣٤ .

(١)

ومن هذه القصيدة نستشف مدى الألم والشدة التي عاناها ابن شهيد من مرضه حتى انه تمنى ان يكون في رؤوس الجبال وفسيح الهرايرى يعيش عيشة بسيطة . والقصيدة تنبض بماطفة الألم والحسرة .

ويبدو ان الرجل حينما ايقن بان الموت قد قرب منه اخذ يحاسب نفسه على ما فرط

(٢)

في جانب ربه فتحول الى زاهد واعظ يلوم نفسه ويؤنبها يقول في ذلك :

تأملت ما افنيت من طول مدتى * فلم اره الا كلمحة ناظر

وحصلت ما ادركت من طول لذتى * فلم الفه الا كصفقه خاسر

وما انا الا رهن ما قدمت يمدى * اذا غادرونى بين اهل المقابر

وقبل ان يتوفى ابن شهيد اوصى ببعض الوصايا الفريهه التي تدل على

(٣)

ان الرجل ندم على ما فات فاراد ان يكفر عن ذنوبه ولو ببعض الشئ فمن وصايا :

ان يصلى عليه ابو عمر الحصار الرجل الصالح ، فتغيب اذ دعى ، ووصى ان يسكن

عليه التراب دون لبس ولا خشب فاغفل ذلك .

(٤)

وان لم تنفذ الوصيتان السابقتان فقد نفذت بقية وصاياه وهو ان يدفن

(١) يقول ابن خافان : " واحسب ان الله اراد بها تمحيصه ، واطلاقه من ذنوب

كان قنيصه ، فطهره تطهيرا ، وجعل ذلك على المغوله ظهيرا . " ص ٢١

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٥

(٣) الحميدى ص ١٣٦

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٧

(١)

بجنب صديقه ابى الوليد الزجالي ء ويكتب على قبره فى لوح رخام هذا النثر
والنظم :

بسم الله الرحمن الرحيم " قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون " هذا قهر أحمد
بن عبد الملك بن شهيد المذنب ء مات وهو يشهد أن لا اله الا الله ء وحده لشريك
له ء وأن محمدا عبده ورسوله ء وأن الجنة حق ء وأن النار حق ء وأن الهمم
حق ء وأن الساعة آتية لا ريب فيها ء وأن الله يبعث من فى القبور .

مات فى شهر كذا من عام كذا . ويكتب تحت هذا النثر هذا النظم :

(٢)

- | | | |
|------------------------|---|------------------------|
| يا صاحبى قم فقد أظننا | * | انحن طول المدى هجود ؟ |
| فقال لى : لن نقوم منها | * | ما دام من فوقنا الصميد |
| تذكركم ليلة لهوننا | * | فى ظلها والزمان عيب |
| وكم سرور همى علينا | * | سحابة ثرة تجود ؟ |
| كل كان لم يكن نقضى | * | وشومه حاضر عيب |
| حصله كاتب حفيظ | * | رضه صادق شهيد |
| يا ويلنا ان تتكبتنا | * | رحمة من بطشه شديد |
| يا رب عفوا فانت مولى | * | قصر فى أمرك العيب |

(١) يقول المقرئ انه دفن بحير الزجالي جوار صديقه ابى الوليد " انظر ج ١ ص ٦٣٥ .
ولكن الحميدى يقول انه دفن بمقبرة ام سلمه | انظر ص ١٣٥ |

(٢) يقصد صاحبه ابا الوليد الزجالي الذى دفن الى جواره .

(١) " كان أبو عامر كثيرا ما كان يخشى صموية الموت ، وشدة السوق ، فيسمر
الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب الى الله أن يرفق به ، ويكثر من ذكره ، وقد
أيقن بفراق الدنيا الى أن ذهبت نفسه رحمه الله يوم الجمعة آخر يوم من جمادى
(٢)
الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة . ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على
قبره من البكاء والمويل . "

(٣)

وصلى على ابن شهيد " رئيس قرطبه أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور
(٤)
الكلبي " ولم يحقب ، وانقضت عقب الوزير (ابيه) بموته . "

(٥)

وانشد على قبر هذا الأديب من المراثى الشئ الكثير منها قول ابى الاصبغ
القرشى من قصيدة طويلة :

شهدنا غريبات المكارم والملا * تبنى على قبر الشهيدى احمدا
وما زال اهل الدين والفضل والتقى * عكوفنا به حتى حسناه مسجدا
أريد بسقيا الفيث احيا * حفرة * كدرنا بها نجم الملا المتوقدا
(٦)

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨

(٢) قال الحميدى : " ودفن يوم السبت ثانى يوم وفاته " ص ١٣٥

(٣) ابن دحية . ص ١٦٠

(٤) الحميدى . ص ١٣٦

(٥) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨

(٦) بقية القصيدة . انظر ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨

(١)

ومن انشد على قبره مراثية ابو حفص ابن برد الاصغر يقول :

يفيك التراب من ناع نعانسى * نعى غبرى الى وما عدانسى
وكيف ولم يعل طرفى يدمسح * عليه ء ولم يجن له جنانسى

قال المقرئ : " قال الرئيس ابو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لعانميت

أبا عامر ابن شهيد الى ابن عبد الله الحنط الشاعر ء وقد عرف ما كان بينهما
من المناقسه ء بكى وانشدنى لنفسه بديهة :

لما نعى الناعى أبا عامر * ايقنت أنى لمت بالصاير
اودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الأول والآخسر

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٩ وبقية القصيدة :

لاية خصلة تكيك عينسى * ومالى بالحساب لها يسسدان
اللهم المفوظة بالثرى * أم الشيم المهذبة الحسان ؟
ام الكرم الذى ما زال يجبرى * مع الأنواء فى طلق الرهان ؟
ام القلم الذى قد كان يجنى * من القرطاس نوار البيسان ؟
ام الرأى الذى ما زال يفنى * عن السيف المهند والسنان ؟
شهدت لقد اصيب بنو شهيد * بقاطمة السواعد والهنان
به درجوا من الدنيا فهانوا * وكل ما خلا الرحمن فانسى

الفصل الثاني

(مكانته الادبي)

كان ابن شهيد موضع اجلال وتقدير منذ القدم وعند كبار الادباء الذين
تكلّموا عن شعراء الاندلس وكتّابها .

وسوف نعرض هنا لتلك الأقوال التي قيلت في ابن شهيد او بالاحرى الاحكام
التي تبين مكانة هذا الاديب وعلو شأنه فنبداً بقدماء النقاد : يقول ابو محمد بن
حزم : " ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو
حي لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف في وجوه البلاغة وشمايها مقسّدار
يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل " .
(٢)

(٣)
وقال عنه ابن حيان : " كان ابو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام ،
وإذا تأملته ولسته ، وكيف يجبر في البلاغة رسنه ، قلت عبد الحميد في اوانه ،
والجاحظ في زمانه . والمجيب منه أنه كان يدعو قريحته الى ما شاء من نشره ونظمه
في بديهته ورويته . . . وكان في تنميق الهزل والنادرة الحارة اقدر منه على سائس
ذلك . وشعره حسن عند اهل النقد ، تصرف فيه تصرف المطبوعين ، فلم يقصّر
عن غايتهم .

وله رسائل كثيرة في فنون الفكاهاة وأنواع التعريض والأهزال ، قصار وطوال ،
برز فيها شأوه ، وقاها في الناس خالدة بعده . وكان في سرعة البديهة وحضور

(١) المقبرى . ج ٣ ص ١٧٨
(٢) يقصد الجاحظ وسهل بن هارون .
(٣) ابن يسام ١/١ ص ١٦١ - ١٦٢

الجواب وحدته ، مع رقة حواشى كلامه ، وسهولة الفاظه ، وبراعة أوصافه ، ونزاهة
سمائله وخلائقه ، آية من آيات الله خالقه ."

(١)
وقال ابن بسام : " نادرة الفلك الدوار ، وأعجوبة الليل والنهار ، ان هزل
فسجع الحمام ، أوجد فزئير الأسد الضرغام ، نظم كما اتسق الدر على النحور
وشركما خلط المسك بالكافور ، الى نوادر كأطراف القنا الأملود ، تثمق القلوب
قبل الجلود ، وجواب يجسرى مجرى النفس وسبق رجح الطرف المختلس ."

(٢)
ويقول أيضا : " وقد أخرجت من اشعاره الشارده ، ورسائله الباقية الخالدة ،
ونوادره القصار والطوال ، وتمريضاته السائرة سير الامثال ، ما يحل له الوقور حياء ،
وحن معه الكبير الى صباه ."

(٣)
وقال الحميدى : " من العلماء بالآداب ومعانى الشعر وأقسام البلاغة ،
وله حظ من ذلك بسق فيه ، ولم ير لنفسه فى البلاغة أحدا يجارىه ، وله كتاب
" حانوت عطار " فى نحو من ذلك ، وسائر رسائله وكتبه نافمة الجد ، كثيرة
الهزل ، وشعره كثير مشهور ."

(٤)
اما ابن ماكولا فقال عن ابن شهيد " يقال انه جاحظ الاندلس " وقال الثعالبي
" فنشده فى غاية الملاحه ، ونظمه فى غاية الفصاحة ."

-
- (١) ابن بسام ١/١ ص ١٦١
(٢) ١/١ ص ١٦٣
(٣) الحميدى ٠ ص ١٣٣
(٤) الصفدى ٠ الوافى بالوفيات " دار صادر بيروت ١٣٨٩ هـ " ج ٢ ص ١٤٥/١٤٤
(٥) الفتح بن خاقان ٠ ص ١٦

(١)

ويقول عنه الفتح بن خاقان : " عالم باقسام البلاغة ومعانيها ، حائسز
قصب السبق فيها ، لا يشبهه احد من اهل زمانه ، ولا ينسق ما نطق من
در البيان وجمانه ، توغل في شهاب البلاغة وطرقها ، واخذ على متعاطيها ما بين
مغربها ومشرقها ، لا يقاومه عمرو بن بحر ، ولا تراه يفرغ الا من بحر ، مع انطباعه
مشى في طريقه بامد باع " .

(٢)

وقال عنه ابن دحية في المطرب : " وابوعامر هذا ارسخ اهل الاندلس قاطبة
بالادب ، ينسل اليه من كل حدب ، ولم ير لنفسه في البلاغة احدا يجارسه ،
وساجله في جميع العلوم وسبارسه " .

وفي كل هذا دليل واضح على اننا امام شخصية علمية قديرة شغلت التقاسد
فترة من الزمن . بل ان ابن شهيد في يوم من الايام كان يتمتع بلقب " اديب قرطبه " .
(٣)
يقول ابن بسام عن الوزير احمد بن عباس : " ومن عجبه انه دخل قرطبه - ومنها
منتماه ، وهم بقية الناس - فحجب كبيرهم الشيخ ابا عمرو بن ابي عبدة من غرر
عذر ، وما عرف عباس ابوه الا بخدمة ابن عمه ، وتنقص اديبهم ابا عامر ابن شهيد " .

لكن في الواقع ان الاحكام السابقة وان كانت قد صدرت من علماء لهم وزنهم
الشقافي والملس الا انها تفقد الجانب التطبيقي الذي نعتقد انه على درجة
كبيرة من الهمية في ميدان النقد .

(١) الثعالبى . ج ٢ ص ٤٩

(٢) ابن دحية ص ١٥٨

(٣) ابن بسام ٢/١ ص ١٢٦

اما من حيث ربطهم بين الجاحظ وابن شهيد فعلى ما يبدو أنهم رأوا ان هناك تشابها بينهما وخاصة في نماحتين . الأولى منهما : ان كلام الجاحظ وابسن شهيد تكلم عن الطيور والحيوانات والحشرات وان كان هناك اختلاف كبير بين كسل منهما لأن الجاحظ يمالج الموضوع من ناحية علمية بحثه يهدف من ورائها السى فائدة القارىء .

واما ابن شهيد فيمالج ذلك من ناحية ادبية فقط وهدفه ثمعة القارىء .
والثانية : ميلهما الى اسلوب الفكاهة والهزل الساخر والنقد اللاذع ولكن ما لاشك فيه ان لكل منهما اسلوبه الخاص به الذى يميزه عن غيره .

ولكن من الملاحظ انه على الرغم من ذلك الاطراء والشادة بابن شهيد وادبه فانه لم يعلم من مهاجمة الادباء وخاصة في عصره فان لكل اديب مؤيدين ومعارضين ،
(١)
يقول ابن الحنات الكفيف : " وأخونا أبو عامر يسهب نثرا ، ويطيل نظما ، شامخا بانفه ثانيا من عطفه ، متخيلا أنه قد احرز المباق فى الآداب ، وأرضى فصل الخطاب . "

(٢) اما ابوبكر المعروف باشكمياط فقد اتهم ابن شهيد بالسرقة الادبية فقال :
(٣) فقر حسان الا انه عشر عليها " مع العلم ان هذا لا يمد عينا عند ابن شهيد
كما سنرى فى فصول النقد ان شاء الله .

(١) ابن بسام ١/١ ص ٣٨٥
(٢) قيل ان رسالة التوابع والزوابع ارسلت اليه ولكن فى الحقيقة انها ارسلت السى
ابى بكر بن جزم .
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٥

وإذا كان قدماء الأدباء قد عرفوا مكانة ابن شهيد الأدبي فاعطوه ما يستحق من الاجلال والتقدير فان المحدثين ايضا لم يجهلوا تلك المنزلة التي يستحقها هذا الاديب فقد اشادوا بشعره ونثره ونقده يقول الدكتور احسان عباس :^(١) " ليس في الاندلسيين الذين درسنا شعرهم حتى عصر ابن شهيد من كان اكثر منه توقفاً في القريحة ، وأنفذ بصراً في نقد الشعر " .

^(٢) ويقول في موضع آخر : " اما في اصابة الحكم على من درسهم من الشعراء فانه ربما تفوق على ابن رشيقي وابن شرف ، وربما لم يبلغ اي ناقد اندلسي آخر ملبفه في ارهاق الذوق والاحساس بالجمال الفني ، وقد اتخذ من شاعرتيه وسيلة للتعبير عن آرائه النقدية بطريق التصوير " .

^(٣) وقال الدكتور زكي مبارك : " لاحظنا أن وسائله في صناعة النقد والبيان تدل على أنه كان من أصفى الناس ديباجة ، وأسدهم رأياً ، وصدقهم فراسة ، اذا مضى يشرح مزلق الأفكار ومزلات العقول " .

^(٤) اما الدكتور احمد هيكل فيقول عن نقد ابن شهيد : " لمحات نقدية ذكيه عظيمة الشأن " . وقيل انه : " أعظم من انبتت الاندلس من شعراء حتى ذلك الوقت " .^(٥)
وقال الدكتور شوقي ^(٦) ضيف : " ومهما يكن فقد كان ابن شهيد اكبر ادیب في عصره " .

٢٩٣

(١) الدكتور احسان عباس . تاريخ الأدب الاندلسي ص ٢٩٣

(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبي عند العرب . دار القلم . بيروت ط ٤ ص ٤٨٤

(٣) الدكتور زكي مبارك . ج ٢ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٤) الدكتور احمد هيكل . ص ٣٩٤

(٥) الاستاذ يعقوب زكي . مقدمة الديوان ص ٦٥ (٦) د . شوقي ضيف : ص ٣٢٤ لهن

ومزاها في النثر العربي .

(١)
وتكلم الدكتور محمد رضوان الداية عن مكانته الادبية فقال : " آراء ابن
شهيد النقدية - معظمها ان لم نقل كلها - صادرة عن وى ورأى تجريبى
لا رأى نظرى . "

(٢)
وقال عنه الاستاذ احمد ضيف : " وكان ابو عامر من اعلم الناس متفنا فى علوم
الادب ، بارعا فى صناعة النظم والنثر . فكانت له منزلة رفيعة وابتكارات بديمة
واساليب راقية فى فنى المنظوم والنثر . "

وقال ايضا : " ان ابن شهيد من افذاذ الادباء المفكرين الذين انجبتهم
حركة المقول والدارك فى الاندلس . "

وستطيع القول بأن ابن شهيد اديب قدير استطاع ان يمد فراغا كبيرا فى
ادبنا العربى استحق من اجل ذلك الثناء والتبجيل من الادباء قديما وحديثا .
فهو بلا شك شاعر اجاد فى جميع اغراض الشعر المختلفة وائ كان اكثر شعرة فى
المجون واللهو الا اننا نرى فيه روح ابن شهيد المرححة خفيفة الظل وقصد
صاغه بأسلوب سهل رقيق قريب التناول ولكن فى بعض قصائده شيئا من الكلمات الغريبة
وقد اشار هو الى شىء من ذلك .

(٣)

وفى بعض الاحيان نجد فى شعر ابن شهيد نظرات تشاؤمية من الحياة

(١) الدكتور محمد رضوان الداية ص ٢٩٦ (٢) الاستاذ احمد ضيف ص ٤٣ و ٥٩
(٢) يقول غرسية غومس عن شعر ابن شهيد : " ولشعره فى بعض الاحيان رنة
من الاسرار الفاضلة ، وكأنها من نتاج العصور الحديثة " الاستاذ يعقوب
زكى . مقدمة الديوان ص ٦٦

واهلها مع شئ من الحنين الى الماضى وخاصة بعد ان تقدمت به السن قليلا .

اما نشره فلم يبلغ المستوى الذى وصل اليه شعره ونقده لأن فيه شيئا من الفوضى والتكلف والاهتمام بالالفاظ ورصفها والالتزام بالسجع فى اغلب الاحيان ومن المؤلف حقا على اديب قدير كابن شهيد ان تكون هناك هوة كبيرة بين كتاباته الشعرية وبين نقده وشعره ولكن هذه هى الحقيقة التى لاهرب منها يقول الدكتور زكى مبارك :^(١) " مثل ابو العلاء الممرى رأيه فى شعر ابن هانى الاندلسى فاجاب : " رضى تطحن قرونا " وهو جواب حذق وذكاء ، فضلا عما فيه من روعة التصوير . وأخشى أن يكون الأمر كذلك فى نشر ابن شهيد ، فهو فى الأكثر جمجمة ومقمة وقلقلة فى غير نفع ولاغناء . وسؤونا والله أن يكون ذلك ما نراه فى نشر ذلك الرجل الذى نمتد فيه دقة الفهم ، وروقة الطبع ، وسلامة الذوق " اما نقد ابن شهيد فهو بلاشك قد بلغ المستوى الذى يستحقه من الاشادة والثناء من جمهور الادباء ويكفيه فخرا انه كان رائدا لبعض القضايا النقدية التى لم تكشف الا فى هذا العصر كما سوف نوضح فى فصول النقد ان شاء الله .

هل كان ابن شهيد طبيبا ؟

ذكر الحميدى^(٢) وغيره من المؤلفين ان ابن شهيد^(٣) كان له من علم الطب

نصيب وافر .

وكل ما بين ايدينا من آثار ابن شهيد لا تجعلنا نجزم جزما تاما انه كان طبيبا

ولكن من الممكن انه كان يقرأ فى كتب الطب حتى الم المامات بسيطة عن فائدة بعض

(١) الدكتور زكى مبارك ج ٢ ص ٣٧٨ (٢) الحميدى ص ١٣٦

(٣) انظر . الضبي ص ١٨٠ ، ياقوت الحموى معجم الادباء ص . الامير شكيب ج ٣ ص ٤٥٧

الاشياء ضررها — مثلا — كما هي الحال عند بعض المثقفين في كل عصر • اذا
اخذنا بعين الاعتبار ان الطب في ذلك الوقت لم يصل الى درجة التعقيد التي
وصلها الآن •

وليس بعيدا عن اذهاننا قصة المأمون حينما جلس على المائدة وأخذ يصف
فوائد الاطعمه الموجوده • فهل نستطيع القول بأن المأمون ليس له علم ولو بجزء
يسير من الطب ؟ لا أظن ذلك •

ولكننا نجد استنتاجا غريبا عند الاستاذ البير حبيب مطلق حول هذا الموضوع
يقول : ^(١) " وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام " الاطباء " لا يمكن ان نفهمهم
محب تبصمهم الا ان فهمنا ان اللفظه تعنى الفلاسفه او المشتغلين بعلوم الأوائل •"
ولكن المرء ليموا من الغباء بحيث يخلطون بين علمين مستقلين • كذلك
اللغة ليست قاصرة عن مثل ذلك • ولكن " البير " لم يراع الفارق الزمني بين
ذلك العصر وهذا العصر فظن ان كلمة طبيب لا تطلق الا على من اخص في علم
الطب بتلك الاجهزة المعقده والادوات المتعدده فخج الكلمه ذلك المخج • اولعله
خلط بين كلمة طبيب وكلمة حكيم فالأخيرة هي التي تعنى فيلسوفا وقد اطلقت
على الطبيب نظرا للصلة الوثيقة التي ربطت قديما بين الفلاسفه والطب •

(١) البير حبيب مطلق • الحركة اللغويه في الاندلس • المكتبه المصريه —
بيروت ١٩٦٢ م • ص ٢٨٠ — ٢٨١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(الباب الثانی)

” ابن شهید والنقد التقليد ”

الفصل الأول

الشعر في نقد ابن شهيد

ما لا شك فيه ان ابن شهيد قد افاد كثيرا من النقاد الذين سبقوه كما هسى الحال في كل ناقد فلا تكاد نرى ناقدا استطاع ان يستغنى عن آراء سابقيه من النقاد والاستفادة من خبراتهم الطويلة وناقشة آرائهم والادلاء برأيه بعد ذلك.

فقد ناقش ابن شهيد في هذا الفصل قضية ين نقد يتبن على جانب كبير من الأهمية هما اللفظ والمعنى والسراقات الشعرية والقضيتان مطروقتان قبل ابن شهيد كما طرقتا بعده الا انا نلاحظ ان لابن شهيد آراء المستقلة به وشخصيته المميزة التي اضفت على اقواله شيئا من الاستقلال.

x x x x

اللفظ والمعنى :

لقد اختلف النقاد حول ابن شهيد اختلافا كبيرا فيما يتصل بقضية اللفظ والمعنى فمنهم من آثر اللفظ على المعنى ووضموا الجاحظ على رأس هذه الفرقة ومنهم من آثر المعنى على اللفظ وقالوا : ان عبد القاهر الجرجاني من اصحاب هذا الرأي.

وفريق آخر رأى ان المتوسط في الأمر ارجح فقالوا : ان المعنى روح واللفظ جسد ولاغنى لاحدهما عن الآخر ومن هؤلاء ابن رعيبي وبعض آخر من النقاد . واكثر الاختلافات ناتجة عن عدم فهم النصوص على وجهها الصحيح فمثلا موقف الجاحظ من القضية يختلف تماما عما اشتهر عنه لأنه لم يفضل اللفظ على المعنى كما زعم ذلك

(١)

كثير من النقاد ولكن الالتباس حصل من نص الجاحظ الذى قال فيه : " المعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها المعجب والمرى ، والبدوى والقروى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخج ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصور ."

ولا يفهم من هذا أن الجاحظ يستهين بقيمة المعنى ولكنه يقصد ان المعانى قبل صياغتها صياغة فنية من الممكن ادراكها ومن السهل معرفتها فمثلا كل العرب كانوا يعرفون ان الليل يدرك اللطن حينما وجد واينما حل ولكن جاء النابغة الذبياني فصاغه بتلك الصورة التى يعجز عنها كثير من الناس فقال :

(٢)

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المتأى عنك واسع

وقول الجاحظ : " فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصور " يدل دلالة واضحة على انه لم ينقل اهمية المعانى لأن التصور لا يعنى اللفظ وحده وانما يتضمن اللفظ والمعنى فى صورة فنية بارزه . كذلك ان للجاحظ بعض الأقوال التى تصرح باهمية المعانى وعلو شأنها من ذلك قوله : " وقال بعضهم - وهو من احسن ما اجتبيناه ودوناه - لا يكسون

(١) الجاحظ . الحيوان " مصطفى البابى الحلبي القاهرة ط ٢ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م " تحقيق عبدالسلام هارون ج ٣ ص ١٤١ - ١٣٢

(٢) النابغة الذبياني . الديوان " دار الفكر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م " تحقيق الدكتور شكرى فيصل ص ٥٢

(٣) الجاحظ . البين والتهيين " مصر ط ٤ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ج ١ ص ١١٥

الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمك اسبق من معناه الى قلبك .^٥

اما عبد القاهر الجرجاني فهو الناقد الذي عرف بنظريته المشهورة وهي نظرية النظم التي ادرك من خلالها القيمة الحقيقية للصورة الادبية والتي كان يحوم حولها كثير من النقاد ولكنهم لم يستطيعوا ان يعبروا عنها فهمهم من شبه المعنى بالروح واللفظ بالجسد ولاغنى لاحدهما عن الآخر . ومضهم قال : ان الألفاظ قوالب المعاني او المكس الى غير ذلك .^٥

ولكن عبد القاهر بين ان قيمة اللفظ تكمن في موقعه من النظم ومساعدته على ادراك المعنى الكلي لا من حيث دلالاته اللفظية المفردة فقال : " فانما نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع ، وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير ، وانما كان كذلك لان المزية التي من اجلها نصف اللفظ - في شأننا في هذا - بأنه فصيح ، مزية تحدث بعد ان لا تكون ، وتظهر في الكلم من بعد ان يدخلها النظم ، وهذا في ان انت طلبته فيها - وقد جئت بها أفرادا لم ترم فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا - طلبت محالا .^٥

ولكن على الرغم من تكامل نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجاني الا انها لم تحطع ان تنهي الخلافات القائمة بين النقاد حول موضوع اللفظ والمعنى لأن اكثرهم

(١) عبد القاهر الجرجاني . دلائل الاعجاز . دار المنار بمصر ١٣٦٧ هـ ط ٤
ص ٣٠٧ - ٣٠٨

لم يفهم هذه النظرية على وجهها المطلوب ، أو أنهم ازادوا ان يتمصوا لـ رأي
ممين فظلت الآراء تتضارب والقوال تتعصب حتى يومنا هذا .

ومن الذين ادلوا بأرائهم في قضية اللفظ والمعنى ابو عامر ابن شهيد
فأتى بأراء تستحق التقدير والمناقشة قال : ^(١) " وانما يستحق اسم الصناعة بتقحم

بحور البيان ، وتمعد كرائم المعاني والكلام " فتساوى عند ابن شهيد الالفاظ
والمعاني من حيث الاهمية ويرى ان من الواجب على الاديب اختيار الجيد منهما .
ومبر عن الالفاظ " بالكلام " وهذا التمييز لم يكن ارتجاليا من ابن شهيد
وانما كان له هدف في نفسه لانه ادرك الصورة الادبية في اوضح شكل لها يسيل
عبر عنها بنفس التعبير الحديث فقال : ^(٢) " فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستولية
على جسمه ، كان مطبوعا روحانيا ، يطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيئاتها ،
وأروق لسانها ، ومن كان جسمه مستوليا على نفسه - من اصل تركيبه - والغالب
على جسمه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى في الكمال
والتمام ، وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتسى
منه في حسن النظام ، صور رائحة من الكلام " .

ومن الملاحظ ان ابن شهيد هو اول ناقد استطاع ان يعبر عن الصورة الادبية
بهذا التعبير . بل ان كلامه كان اقرب اليها من كلام اي ناقد آخر .

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦

(٢) ابني بسام ١/١ ص ١٩٢

وفي ما اعتقد ان ابن شهيد في نصه السابق قد اشار الى نظرية النظم التي عبر عنها بقوله : " حسن النظام ، صور رائعة من الكلام " . وذلك يكسبون قد سبق عبد القاهر الجرجاني الى فهم هذه النظرية . وهناك نص آخر لابن شهيد ينوه فيه عن النظم مما يدل على ان هذه الفكرة قد تبلورت في ذهنه قال : " ان للحروف انسابا وقربايات تدل على الكلمات ، فاذا جاوز النسيب النسيب ومازج القريب القريب ، طابت الالفه ، وحسنت الصحبة ، واذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخاير " .

وفي الواقع ان نظرية النظم لم تنفجر انفجارا على يد عبد القاهر الجرجاني فلا بد ان يكون قد استفاد من بعض ملاحظات سابقيه واشاراتهم . ولكن ابن شهيد لم يعالج القضية بصورة مستفيضة كما فعل عبد القاهر الا اذا كان قد حصل شئ من هذا في بعض كتبه المفقوده وخاصة كتاب " حانوت عطار " الذي يسدل من اسمه على ان له اتصلا بالنقد .

وحتبر ابن شهيد اي تأثير على اللفظ او على المعنى يؤثر على الصورة الادبسية التي هي النتيجة النهائية لكل منهما . وهذا ان دل على شئ فانما يدل على ان هذا الناقد عبقرية غير عادية استطاعت ان تدرك خفايا القضايا النقدية التي استحصت على كثير من النقاد .

-
- (١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩
(٢) من الذين اشاروا الى ان ابن شهيد ادرك نظرية النظم الدكتور محمد رضوان الدايه في كتابه تاريخ النقد الادبي في الاندلس ص ٢٩٢ .
(٣) يقول الدكتور بدوي طيبانه : " والواقع ان هذه الفكرة لم يكن عبد القاهر مخترعا لها وان كان هو الذي بسط فيها القول ، واقام على اساسها فلسفة كتابه فقد سبقه اليها ابو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم (ت ٣٠٧هـ) الذي السف كتابا سماه " اعجاز القرآن في نظمه " . البيان العربي " دار العودة - بيروت ط ٥ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ص ١٦٥ .

وفيما يبدو ان ادراك الصورة الادبية التي تعتبر نتيجة من نتائج اللفظ

والمعنى قد فانت كثيرا من النقاد امثال ابن قتيبة الذي قسم الشعر حسب

لفظه ومعناه الى اربعة اضراب : (١) ضرب حسن لفظه وجاد معناه ، وضرب حسن

لفظه وقصر معناه ، وضرب جاد معناه وقصر لفظه ، وضرب قصر معناه وقصر لفظه .

وهو بهذا التقسيم اوقع نفسه في شطحات ظاهرة لوحظت عليه منذ القدم وسن

ذلك رايه في ابيات كثير التي يقول فيها :

ولما قضينا من منى كل حاجة * وسبح بالاركان من هو ماسح

وهدت على حدب المهاري رحالتنا * ولا ينظر الغادي الذي هو رايح

اخذنا بأطراف الاحاد يشبهينما * وسالت بأعناق المطى الاباطح (٢)

قدد وضعها ابن قتيبة في الضرب الثاني الذي حسن لفظه فاذا انت فتشنته

لم تجد هناك فائدة في معناه او ان معناه عادي فأشار الى ان معنى هـ هذه (٣)

الابيات هو : " ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان والينا ابنا الأنساء "

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء " مصر ١٩٦٦م " ج ١ ص ٦٤
(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء " ج ١ ص ٦٦ ، كثير عزه . الديوان " دار الثقافة بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م " جمعه وشرحه الدكتور احسان عباس ص ٥٢٥

(٣) ابن قتيبة ج ١ ص ٦٧ .

وضى الناس لا ينظر الفادى الرابع ، ابتدأنا فى الحديث ، وسارت الطى
فى الأباطح } .

(١)
ولكن اكثر النقاد خالفوه فى هذا الحكم بل أنهم نسبوا الجمال الى هـ
الابيات . وهذا يدل بلاشك على ان ابن قتيبه لم يفتن الى التصور النفسى
للموقف الانسانى فى هذه الابيات والذي يعد التعريف الصحيح للادب . فابن
قتيبه حكم على الشعر من حيث لفظه ومعناه ولم يلتفت الى تلك العلاقة التى
ترتبط بين الالفاظ والمعانى .

ومن أخطاء هذا التقسيم ايضا انه ادخل القسم الرابع فى باب الشعر على
الرغم انه ليس منه فما قصر لفظه وقصر معناه ليس شعرا وانما يسمى نظما أو اى تسمية
اخرى لانه فقد العناصر الاساسيه فى الشعر .

وشير ابن شهيد ايضا الى ناحية مهمة فى هذه القضية وهى الاحتراس من خسداع
الالفاظ وحلاوتها اذا كانت لا تحصل معنى كريما او كان من الممكن التمييز
عن هذا المعنى بجملة واحدة فيصير عنه بمشترات الجمل ما يودى الى تكرير
الالفاظ وتعدد الاسماء دون الحاجة الى ذلك اذا اخذنا بميزان الاعتباران البلاغة

(١) من الذين استحسن هذه الإبيات عبد القاهر الجرجاني فبين حسنهما وكشف عن
اسرار جمالها انظر . اسرار البلاغة " مطبعة المنار ط ٢ ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م
ص ١٦ . ومن استجادهما ايضا ابن طباطبا فقال : " هذا الشعر
هو استعمار قائله لفرحة قوله الى بلده وسروره بالحاجة التى وصفها
من قضاء حاجة وانه برفقاء ، ومحادثهم ، ووصفه ميل الأباطح بأغناق
الطى كما تسميل بالمياه . فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر ."
ابن طباطبا . عيار الشعر " القايره سنة ١٩٥٦ م ص ٨٤ .

في الايجاز بأن تكون الالفاظ على قدر معناها دون زيادة او نقصان قال ابيسن
شهير (١) : " فقد ترى الشعر فضى البشرة وهو رصاص المكسر ، ذا ثوب معضد
او مهلهل ، وهو مشتمل على بهق او برص ، مبينيا بلهن التماثيل ، وصفوان
التهاويل ، وهو لا يجن صاحبه عن التسميم فضلا عن الحرجف ، ولا يقيه رقيق
ريق الندى فضلا عن شهبوب الكشور (٢) وقد ملحته ملاححة الأسماء ، وانقد فيه
الهوى ، واضطربت في جانبه نيران الجوى ، ولمع فيه البرق ، واستن فيه الودق ،
وسفحت عليه الدفوع ، وبان فيه الخشوع ، وهو " كمراب بقيمة يحسبه الظمآن
ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا " لا يستحق صاحبه غير ان يكون تلمابة ، أو
صاحب براعة " .

ومن الملاحظ ان الدكتور زكي مبارك قال (٣) ان ابن شهيد من انصار المعنسى
متشهدا بقول ابن شهيد : " انما يستحق اسم الصناعة يتقحم بحور البيان
وتعمد كرائم المعانى " .

ولكن الدكتور زكي لم يورد النص كاملا وانما اقتطع منه ما يوافق رأيه ولو اكمل
النص لتبين ان الحقيقة غير ما ذهب اليه الدكتور زكي فتمتة قول ابن شهيد
هي : " تعمد كرائم المعانى والكلام " . وكما وضحنا سابقا ان ابن شهيد يعنى

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦
(٢) الكشور من السحاب المترابك التخين قال الاصمعي وغيره هو قطع من السحاب
امثال الجبال " ابن منظور " لسان العرب " الدار المصرية للتأليف
والترجمة ج ١٥ ص ٢١٧ .
(٣) الدكتور زكي مبارك ج ١ ص ٦٧ - ٦٨ .
(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦
(٥) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦

” بالكلام ” الألفاظ فعلى هذا يكون الاستشهاد هنا فى غير موضعه .
ومن ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد فهم قضية اللفظ والمنس
فهما واضحا فادلى فيها بآراء تدل على حصافته ودقة ملاحظته .

x x x x x

(السرقات الشمرية)

من القضايا التى اثارها ابن شهيد السرقات الشمرية وهى من اقدم المواضيع
التى تنبه اليها النقاد فآكثروا فيها القول بل انها من المسائل التى شغلتهم
فلا نكاد نجد كتابا من كتب النقد يخلو من الكلام عن موضوع السرقة ، واصبح
كل منهم يناقش اقوال من سبقه ويزيد عليها بما يراه مناسبا فأخذوا فى تقسيمها وتبويبها
ورضع تلك المصطلحات المتعددة لكل قسم فقالوا : الاطراف ، والاتحجال ،
والاغارة ، والفصب ، والاختلاس الى غير ذلك .^(١) ومضمم يختلف مع
الآخر فى التسمية أو يحرف فيها بقدر ما هداه تفكيره الى ذلك .

ولا نعدوا الحقيقة اذا قلنا . ان السرقات الشمرية تمتد جذورها الى
العصر الجاهلى ولكن على نطاق محدود فمثلا نجد بعض الابيات التى تدل على
وجود السرقات الشمرية فى العصر الجاهلى يقول طرفه بن العبد :^(٢)

ولا اغير على الشعار اسرقها * عنها غنيت وشرا الناس من سرقا

(١) لا يتسع المجال هنا لشرح كل مصطلح نظرا لكثرة الاختلافات بين النقاد فيما
يقصدون بها .

(٢) طرفه بن العبد . الديوان . دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ص ٧٠

(١)
ويقول احسان بن ثابت :

لا اسرق الشمراء ما نطقوا * بل لا يوافق شعرهم شمسرى

واغلب الظن ان المارقة كانت تعيب الشاعر وتنزل بمكانته في ذلك الوقت لانها

تدل على ضعف القريحة وقلة الموهبة الابداعية ، ولكن هذه النظرة اختلفت

فيما بعد عند كثير من النقاد امثال الامدى الذى يقول :^(٢) " ان من ادركته

من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوى الشمراء " .
(٣)

ويقول المسكوى : " ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعانى

من تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم " .

(٤)

اما القاضى الجرجانى فانه ذهب يلتص الاعدار للمتأخرين معتقدا ان من

تقدم من الشمراء قد استغرق جميع المعانى واتى على معظمها . ولكن هذا القول

لا يخلو من المبالغة لأن المعانى ليست محدودة ولكنها تتجدد وفقا لتجدد

الأزمان والأسماء ، كذلك ان العقل البشرى ليس في مستوى واحد من التفكير وخير

شاهد على ذلك ابن الرومى الذى اشتهر باختراع المعانى وتوليدها على
(٥)

الرغم من انه عاش في العصر المباسى اى قد سبقه كثير من الشمراء .

ولمخ من تهاون بعض النقاد بالسرقة انه يطلق عليها " استمارة " من باب

التساهل والتخفيف .

(١) احسان بن ثابت . الديوان . دار صادر بيروت ١٩٧٤م . ج ١ ص ٥٣ تحقيق

الدكتور . وليد عرفات .

(٢) الامدى . الموازنه . دار المصارف بمصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م . ج ١

ص ٢٩١

(٣) ابو هلال المسكوى . الصناعتين . عيسى الحلبي مصر . ص ٢٠٢

(٤) القاضى الجرجانى . الوساطة . دار احياء الكتب المربية . مصر ط ٢ (١٣٧٠هـ :

١٩٥١م . ص ٢١٤-٢١٥) (٥) ابن رشيق . المصده . مطبعة السعادة ، مصر

١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ط ٢ . ج ٢ ص ٢٤٤

ومن الملاحظ ان السرقة لا تتحقق في الألفاظ والا لنفد الكلام واصبح
من الصعب جدا اختراع الفاظ جديدة وانما تتحقق السرقة في المعاني التسمى
تنقسم قسمين : معاني مشتركة ومعاني مخترعة ، فأما الأولى فلا سرقة فيها
لأنها ما تفتن اليه النفس البشرية دون الاحتياج الي من يلهمها ذلك مثل
تشبيه الحسن بالشمس والجواد بالبحر والشجاع بالأسد الى غير ذلك .
(١)

اما المعدني المخترعة فهي التي اصبحت وفقا على اصحابها فلم سبقهم
اليها احد ففضل اختراعها يرجع اليهم مثل قول عنزة في الذباب :
(٢)

فخرى الذباب يسها يفتنى وحده * هزجا كعمل الشارب المترنم -
غردا يخك ذراعاه بذراعاه * فمل المكب على الزناد الأجذم

وفي هذه المعاني تتحقق السرقة بين الشعراء .

(٣)

أما رأي ابن شهيد في السرقة فيتلخص في قوله : " اذا اعتدت معنى

قد سبقك اليه غيرك فاحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فأضرب عنه جملة . وان لم

يكن بد ففى غير المروض التي تقدم اليها ذلك المحسن لتتشط طبيعتك وتقوى

منتك . "

(١) عبد القاهر الجرجاني سمى هذا النوع " المشترك المعاني " اسوار البلاغة
" مطبعة المنار بمصر ط ٢ ١٣٤٤ هـ - ١٩٥٢ م " ص ٢٩٥ .

(٢) الجاحظ . الحيوان " مصطفى الباني الحلبي . مصر ط ١ (١٣٥٦ هـ -
١٩٣٨ م " ج ٣ ص ٣١٢

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤ .

وهو رأى تفرد به ابن شهيد بين النقاد ويدل على ذكاء ولباقة لأن تفسير
المرض يغير موسيقى البيت فيتحقق نوع من الاختلاف وهذا من انواع الحيلسة
او الاخفاء ، ولكن على الرغم من ذلك فان الناقد المثقف الملم بالاشعار لا تخفى
عليه مثل هذه الأشياء فهو يستطيع ان يخرج البيت المسروق منها حاول قائله
ان يغير ويدل فيه .

ولا يؤيد ابن شهيد اخذ المعنى الذى احسن فيه قائله فابعد تركيبه لأن
الآخذ لا يضمن تفوقه على القائل او المبدع ، وضرب لذلك مثلاً بممر بن
ابن ربيعة الذى اراد أن يأخذ معنى امرى القيس حين قال :
(٢)

صوت اليها بعدما نام اهلها * سمو حباب الماء حالاً على حال
فقال عمر :
(٣)

ونفضت عنى النوم أقبلت مشية ال * سمباب وركنى خيفة القوم أزور
قال ابن شهيد : " الا ترى عمر بن ابن ربيعة ، وهو من اطبع النساس
حين رام النوم والامام به كيف اقتضح . . . انه ما . قسمة البيت ، و اراد ان
يلطف التوصل فجاء مقبلاً بركن كركه أزور . وابن ابن ربيعة لو ركب غيسر
عرضه لخلص فقلت انا فى ذلك :

ولما تملأ من سكوره * فنام ونامت عيون المسس
دنوت اليه على بمسده * دنو رفيقى درى ما التمس
(٥)

-
- (١) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤
(٢) امرؤ القيس الديوان " الاستقامة . القاهرة ط ٥ " ص ١٦١ حسين
السندوس
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤ (٣) عمر بن ابن ربيعة . الديوان " دار صباد ر
بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م " ص ١٢٣ .
(٥) فى رواية ابن سعيد الاندلسى " على قربه " وفى اعتقادى انها الأصح لأن
الدنو يكون من القريب فى اغلب الاحيان . (ابن سعيد . عنوان المرقصات
والمطربات - طبع على ذمة جمعية المعارف ص ٥٩) .

- ادب اليه ديبب الكسرى * واسمو اليه سمو النفس
وتبسه ليلتى ناعما * الى ان تبسم ثغر الفليس
اقبل منه بياض الطللا * وأرشف منه سواد اللمس

وابن شهيد ذكر المقطوعة السابقة بأكملها على الرغم ان الأخذ لم يتحقق الا فى البيت الثالث وهو قوله : " ادب اليه ديبب الكرى ٠٠٠٠ الخ " وهو فى هذا الصدد يشير الى قضية فى غاية الاهمية وهى حمن الأخذ وقبحه وقد اوفى هذه القضية حقها ابو هلال العسكري الذى عقد لكل منهما فصلا خاصا به فى كتابه " الصناعتين " .

وتعرض ابن شهيد ايضا الى الزيادة وبلغ الحمن فيها بالنسبة للمعنى المأخوذ فذكر فى رسالة " التوايح والزوايح " نصا يدور حول معنى عرفه المشاركة وتردد فى كتبهم الحديث عنه قال : ^(١) " قال ابو عامر : وحضرت انا ايضا وزهير ^(٢) مجلسا من مجالس الجن ، فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من الممانى ، ومن زاد فأحمن الأخذ ، ومن قصر . فأنشد قول الأخوه بعض من حضر :

- وترى الطير على آثارنا * رأى عين ، ثقة أن ستمسار
وانشد آخر قول النابغة : ^(٣)
اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها * جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد ايقرن أن قبيلته * اذا ما التقى الجيشان أول غالب

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .

(٢) زهير بن نيمر وهو تابعة ابن شهيد الذى ذهب به الى ارض الجن .

(٣) النابغة الذبياني . الديوان ص ٥٧ .

(١)

وانشد آخر قول ابي نواس :

تتأى الطير غدوتها * ثقة بالشبع من جزره

(٢)

وانشد آخر قول صريح الفوانى :

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

(٣)

وانشد آخر قول ابي تمام :

وقد ظلت عقبان أعلامه ضحى * بمقبان طير فى الدما تتواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

(٤)

فقال شميل السحابى : كلهم قصر عن النابضة ، لأنه زاد فى المعنى

ودل على أن الطير انما أكلت أعداء المدوح ، وكلامهم مشترك يحتل أن -

يكون ضد ما نواه الشاعر ، وان كان ابو تمام قد زاد فى المعنى ، وانما المحسن

(٥)

المختص المتنبي حيث يقول :

له عسكرا خيل وطير اذا رمى * بها عسكرا لم تبق الا جماجمه

وكان بالحضرة فتى حسن الهزة ، فاحتد لقول شميل . فقال : الأمر على

ما ذكرت يا شميل ، ولكن ما تسأل الطير اذا شبعت أى القبيلين الفالسب .

وأما الطير الآخر فلا ادرى لآى معنى عافت الطير الجماجم دون عظام السسوق

والأذرع والفقارات والمصاعص ؟ ولكن الذى خلى هذا المعنى كله ، وزاد فيه ،

(١) ابو نواس . الديوان " دار الكتاب العربى بيروت ص ٤٣١ " تحقيق احمد

عبدالجيد الفزالى .

(٢) صريح الفوانى . الديوان " دار المعارف بصر ١٩٧٠ م ط ٢ " ص ١٢ تحقيق

الدكتور سامى الدهان .

(٣) ابو تمام . الديوان بشرح الخطيب التبريزى " دار المعارف بصر ١٩٧٠ ط ٢

ج ٣ ص ٨٢ تحقيق محمد عبده عزام . (٤) احد نقاد الجن .

(٥) المتنبي . شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقى " دار الكتاب العربى

بيروت " ج ٤ ص ٥٤ .

وأحسن التركيب ، ودل بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبي ،
من أن القتلى التي أكلتها الطير أعداء المدح ، فاتك بن الصقعب في قوله :
(١)

وتدري سباع الطير أن كاتسه * إذا لقيت صيد الكاة سباع
لهن لماب في الهواء وهزة * إذا جد بين الدارين قراع
تطير جياعا فوقه وتردها * ظباه الى الأوكار وهي سباع
تملك بالاحسان رقة رقها * فهن رقيق يشتري ويبساع
والحم من افراخها فهي طوعة * لدى كل حرب والملوك تطاع
تما صغ جرحاها فيجهز نقرها * عليهم ، وللطير العتاق مصاع

فاهتر المجلس لقوله ، وعلموا صدقه . فقلت لزهير : من فاتك بن الصقعب قال :
يمنى نفسه .

وفي هذه المحاورة ترى أن ابن شهيد يخرج منها غالبا كما هي عادته فمضى
انطباعه عن نفسه ولكن في الحقيقة ان شعره في الطير وان كان جميلا الا انه لم يبلغ
الجودة التي بلغتها ابيات النابغة وسلم بن الوليد وابى تمام والمتنبي ، ومضى
هذا دليل على أن بعض احكام ابن شهيد ذاتية تهدف الى اثبات شخصيته ، والذان
احسنا غاية الاحسان في المعنى هما النابغة وابو تمام لانهما اهتما بكثرة الطير التي
تدل على كثرة عدد القتلى وكذلك بيت المتنبي فيه شيء من ذلك . ولكن ابن شهيد
لم يتنبه الى ذلك المفزى حينما تكلم عن هذه الابيات .

(١) اسم تابعة ابن شهيد اضافة الى تابعته الأول وهزير بن نمير الذي صار
معه الى اراض الجن .

ويبدو أن اعتبار الزيادة في المعنى المأخوذ حملة من الحسنات لم تكن مقتصرة على ابن شهيد بل أشار إليها غيره من النقاد ووضعوها في نفس الموضع (١) الذي جعلها فيه ومن هؤلاء ابن قتيبة الذي قال : " وكان الناس يستجدون للأعشى قوله : (٢)

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بهما حتى قال أبو نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوئي بالتي كانت هي الداء فلعله وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه ، فللأعشى فضل سبق إليه ، ولابن نواس فضل الزيادة فيه .

وعلى أي حال فانا نستطيع القول بان ابن شهيد قد فهم العرقه الشعرية فهما واضحا على الرغم انه لم يستعمل لفظة " سرقة " وانما استبدل بها لفظة " أخذ " (٤) تصاهلا في امرها لأنه يرى أنها ليست عيبا يقدر في مكانة السارق كما وضحنا ذلك سابقا .

-
- (١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء " دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ " ج ١ ص ١٨
(٢) الأعشى . الديوان " دار صادر بيروت ١٩٦٦ م " ص ٢٤ .
(٣) أبو نواس . الديوان ص ٦
(٤) أكثر النقاد لم يفرق بين العرقه والأخذ الا ان هناك بعض الأقوال التي تسدل على ان هناك فرقا بينهما فمثلا يفرق الرندي بينهما ويجعل الأخذ في ثلاثة مراتب : زيادة ، مساواة ، وتقصير . " الواقفي في نظم القوافي لأبي الطيب الرندي / مخطوطة في المكتبة التيمورية بمصر كتب عنها الدكتور محمد الدايب في كتابه تاريخ النقد الادبي في الاندلس ص ٤٣٤ " .
وابن الاثير أشار الى ان هناك فرقا بين العرقه والأخذ فعالمج كلا منهما منفردا " ابن الاثير . المثل السائر . مطبعة حجازي . القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ص ٣١١-٣١٢ . ولكن فيما يبدو ان العرقه تكون في البيت بلفظه ومعناه كما أشار الى ذلك ابن رشيق حين قال : " من اخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا " ابن رشيق ج ٢ ص ٢٨١ . اما الأخذ فانه يكون في المعنى فقط . وعلى أي حال فان الأخذ اخف وطأة من العرقه ولفظه أقل عيبا .

وكانت اقوال ابن شهيد في هذا المجال جديرة بالتقدير وتدل على ثقافته
الواسعة وتمكنه من اعمار العرب والاحاطة بها لأن تتبع الصرقة والادلاء فيها
لا يقوم به الا حفظ الكثير من الشعر وقراءه المشرات من الكتب .

ولا غرابة في اهتمام ابن شهيد بالأخذ او بالصرقة الشعرية لأنها قضية عامة
ومن السهل ان يظن اليها كل ناقد وذلك خلافا لما يمتدده الدكتور احسان عباس
حينما قال : ^(١) " وقد كانت مشكلة الأخذ هذه — فيما يبدو — من أكبر المسائل
التي شغلت ابن شهيد ، لأنها اسام من الاسم التي تعتمد عليها طريقتة الشعرية " .
ولا أرى أن هناك سببا يدعو ابن شهيد الى الاهتمام بالأخذ اهتماما خاصا وانما
هي قضية عامة شغلت النقاد منذ القدم حتى يومنا هذا .

(١) احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص ١٤٢

الفصل الثاني

" الشاعر في نقد ابن شهيد "

كما تكلم ابن شهيد في نقده عن الشعر لم يغفل الكلام عن الشاعر نفسه . فهناك بعض المؤثرات التي تؤثر على شخصيته وتكوينه الخلقى والنفس فيظهر ذلك واضحا في إنتاجه الادبى .

وقد اهتم النقاد بالشاعر منذ القدم فقالوا : ذلك الشاعر ينحت من صخر وقالوا عن الآخر انه يخرف من بحر ، وسموا بعض الشعراء فحلا وغير ذلك من الأقوال التي تدل على ان للشاعر اهتماما خاصا في ميدان النقد .

ولا يختلف اثنان في ان دراسة حياة الشاعر والظروف التي احاطت به مهمة جدا في فهم شعره وتفسيره على ضوء تلك الحياة التي عاشها . ومن اقوال النقاد ايضا فى هذا الصدد اجابة الذى سئل عن اشعر الشعراء فقال : اشعرهم امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا شرب مما يدل على ان الظروف والطباع التي لازمت الشاعر ذات دخل كبير في فتح الابواب امام الناقد ليصدر احكاما موضوعية صحيحة .

فقد عالج ابن شهيد ناحيتين مهمتين في الشاعر هما الطبع والصنعة وتأثير البيئة وكان للنقاد الذين سبقوه وجهات نظر متعددة حول هذا الموضوع ولكننا نلص شخصية ابن شهيد واضحة وملموسة من خلال احاديثه ومناقشاته التي تعد على جانب كبير من الأهمية في النقد الأدبى .

الطبع والصنعة

اكثر من تكلم فى مجال الطبع والصنعة اولئك النقاد الذين تناولوا ابا تمام والبحتري بالبحث والدراسة لأن كلا من هذين الشاعرين ينتمى الى احدى المدرستين " الطبع والصنعة " ، فأبو تمام شاعر صنعة والبحتري شاعر طبع فاختلف النقاد فى تفضيل احدهما على الآخر وبالتالى كثرت الأقوال وتشعبت الآراء حول هذه القضية .

وقد تغير مفهوم كل من الطبع والصنعة عبر العصور . ففي العصر الجاهلى يقصد بالطبع الاعتماد الفطرى فقط ويقصد بالصنعة اعادة النظر وفق هذا المفهوم سائدا حتى العصر العباسى ، ثم بدأت النظرة تتغير عند بعض النقاد ، وأخذ مفهوم الطبع شكلا آخر يختلف عن المفهوم الجاهلى واصبح يقصد به الاعتماد الفطرى الى جانب اعادة النظر بالصقل والدراسة ، واصبحت الصنعة تعنى كد الفكر واجهاد النفس فى ابداع الابيات ثم بعد ذلك اعادة النظر فيها .

ومن نظر الى الطبع فى مفهومه الجديد اى الاعتماد الفطرى السلى جانب الصقل واعادة النظر القاضى الجرجانى والذي يمثل مفهوم عصره فى ذلك الوقت قال : " وملك الأمر فى هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعميل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والمنفبه ، ولست اعنى بهذا كل طبع ،

(١) من الملاحظ ان ابن رشيق يمد البحتري من شمراء الصنعة " الممد ١٣٠/١ " ولكن هذا يخالف ما اجمع عليه النقاد من ان البحتري شاعر طبع وليس شاعر صنعة .

(٢) المرب عاده ما تشبه شعر الصنعة بالصانع الذى احكم صنعته من رطاح أو سيوف او غير ذلك يقول عدى بن الرقاع :

قصيدة قد بت اجمع بينهما * حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كرم قناته * حتى يقيم ثقافه منادها

الباقلانى . اعجاز القرآن " دار المعارف بمصر ط ١٩٧٢م " تحقيق سيد صقر ص ١٢٢ - (٣) القاضى الجرجانى . الوساطة (دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي . مصر ١٣٧٢هـ - ١٩٥١م ط ٢ ص ٢٥)

بل المذهب الذى قد صقله الأُدب ، وشخصته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهم الفصل بين الردى ، والجيد ، وتصور امثلة الحسن والقيح . ومتى اردت أن تعرف ذلك عيانا ، وتستثبته مواجهة ، فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضل ما بين المسح المنقاد والعصي المستكبر فاعمد الى شعر البحتري .

(١)

ومن تنبه الى ذلك ايضا المرزوقى حين قال : " فمتى رفض التكلف والتعمل ،

وخلى الطبع المذهب ، بالرواية ، المدرب فى الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل اليه ، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وهفوا بلا جهد ، وذلك هو الذى يسمى " المطبوع " .

وشعر الطبع سابق على شعر الصنعة لأن المقلية المربية فى بدايتها كانت صافية عقوة غير معقدة ترضى بالخاطر الأول دون التعمق او الفوص الى اعماق الاشياء ، والذى يوافق مثل هذه المقلية هو شعرا لطبع . ولا يفهم من هذا أن الشعر المطبوع سطحى الأفكار ولكن لأنه قريب من تلك النفوس السهلة التى لم تتعود التكلف فى جميع امورها من ملابس وماكل ونوم وغير ذلك .

(٢)

ومن لاحظ ان شعر الطبع سابق على شعر الصنعة ابن رشيق الذى قال : " ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذى وضع أولا ، وعليه المدار " .

وشعر الصنعة اخذ اشكالا مختلفة على مدى المصور الادبية فبدأ من مدرسة

(١) المرزوقى . شرح ديوان الحماسة " لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م ط ١ " ج ١ ص ١٢

(٢) ابن رشيق . العمدة ١/١٢٩ .

أوس بن حجر وزهير والحطيئة حتى انتهى الى الحد الأقصى له على يد ابي تمام الشاعر المباحي المعروف والذي افراط في صنعه افراطا جعل النقاساد ينكرون عليه ذلك فقالوا : " ابو تمام يريد البديع فيخرج الى المحال " (١)

والاختلاف في مفهوم الصنعة بين النقاد كثير جدا ، فمنهم من ذهب الى ان شعر الصنعة هو التكلف والتعسف المذموم الذي يحط من شأن القصيدة (٢) ومن هؤلاء المرزوقي الذي قال : " ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعلل ، والتكلف ، عاد الطبع مستخدما مملكا ، وأقبلت الأفكار تتحملة أثقالها ، وتردده في قبول ما يؤديه اليها ، مطالبة له بالاغراب في الصنعة ، وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء مؤداه ، وأثر التكلف يلوح على صفحاته ، وذلك هو " الصنوع " .

ولكن الصنعة عند ابن قتيبة اكثر وضوحا وجلاء فنراه يقرنها الى الافهام ووضعها في موضعها الطبيعي قال : " (٣) ومن الشعر التكلف والمطبع (٤) : فالتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف ، وتقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة " .

(٥) وواقفه في ذلك ابن رشيق الذي يرى أن خير صنعة هي التي تكون مشتمل

صنعة زهير صاحب الحوليات .

(١) الآمدي . الموازنة " دار المعارف بمصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م " ص ١٩
(٢) المرزوقي ص ١٢
(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ص ٢٣
(٤) لا يقصد ابن قتيبة المعنى المعروف للكلمة وهو التعسف وانما يقصد : الرواية والأناسة .

(٥) ابن رشيق ١٢٩/١٠

وفي الواقع ان الصنعة المستحبة هي التي تكون في حدود المعقول . اما
اذا افراط الهاجر في اقتناص الاستعارات والكنايات والطباق الى الحد
الذي تشمئز منه النفوس وينفر الذوق منه فذلك ليس مرغوبا فيه .

وظالما ان شعر زهير والحطيئة يمد من الصنعة فانا لا نرى فيه ذلك التكلف

والتمص الذي وجد عند ابي تمام ومن على شاكلته حتى اصبح كلامهم يشبه

الطلاسم . وقد سئل ابو تمام : ^(١) " لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال

له : وانت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ " ولكن هذا حين تخلص لا يعطى

الجواب المطلوب . ومن انكر ذلك ايضا عبد القاهر الجرجاني قال : ^(٢) " وقد

تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع

الى ماله اسم في البديع الى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبيبي ، ويخيل

اليه انه اذا جمع بين اقسام البديع في بيت فلا ضمير ان يقع ما عناه في عمياء ، وان

يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على

المعنى وافسده كمن ثقل العروس باصناف الحلى حتى ينالها من ذلك

مكروه في نفسها " ^(٣)

اما موقف ابن شهيد من الطبع والصنعة فيحدد النص الذي قال فيه ^(٤) :

" وانما يتبين تقصير المقصر ، وفضل السابق المبرز ، اذا اصطكت الركيب ،

(١) ابن رشيق ١٣٣/١

(٢) عبد القاهر الجرجاني . اسرار البلاغة . مطبعة المنار ط ٢ ١٣٤٤ هـ .

١٩٢٥ م ص ٦

(٣) حدد بعض النقاد الصنعة بالبيت والبيتين في القصيدة الواحدة واذا زادت

عن ذلك فهي عيب يقدر في مكانه الشاعر . ومن هؤلاء ابن رشيق قال : " -

واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين . . . فاما اذا كثرت ذلك

فهو عيب " ابن رشيق ١٣٠/١

(٤) ابن بسام : ١/١ ص ٢٠٩

وازدحت الحلق ، واستعجل المقال ، ولم توجد فسحة لفكرة ، ولا امكنت
نظرة لروية ، أوفى مجالس الملوك عند انسها وراحتها ، فانه يقع فيها ،
وجرى لديها ، ما لا ينفع له الاستعداد ، ولا ينفذ فيه غير الطبع والفريزة المتدفقة .
فترى الجواد السابق (١) اذ ذاك متشوقا بأذنه باحثا لكديد الاحسان بيده ، طامع
النظر ، صهلق الصهيل ، واهل الصنعة خرس لا يسمع لهم جرس ، ولا شئى ،
عندهم غير حسو الكأس ، وشم الآس ، وتنفس الصمداء ، وقد اصفرت
الوانهم ، وقلعت شفاههم كأنهم من رجال عذرة .

فهنا يهيد ابن شهيد الطبع او بالاحرى ما يسمى بشعر الارتجال وخاصة
فى المواقف التى تصطك فيها الركب وتزدحم الناس لرؤية المغلوب من الغالب
فى هذه المناقشات ، لأن الموقف لا يسمح بالتروى والنظر .

وقد فهم ابن شهيد الطبع هنا كما فهمه الجاهليون وهو الاستعداد القطرى
دون اعادة النظر .

ولكن هناك نصا آخر لابن شهيد يكاد يكون متمارضا معنصه السابق مما جعل
بعض النقاد يتهمه بالتناقض والتذبذب . قال ابن شهيد فى رساله " التوابيع
والزوابع " على لسان تابعة ابن تمام (٢) : " ان كنت ولا بد قاتلا ، فاذا دعيتك
نفسك الى القول فلا تكذ قريحتك ، فاذا اكملت فجمام ثلاثة لا أقل . وثقع بمسد

(١) لقد وفق ابن شهيد فى تشبيهه شاعر الطبع بالحصان السابق لما بينهما
من تقارب .

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢١٩

(١)

ذلك ، وتذكر قوله :

وجشنى خوف ابن عفان ردها * فثقتها حولا كريتنا مريما
وقد كان فى نفى عليها زيادة * فلم ار الا ان اطيع واسمعا .

وفى الحقيقة ان ابن شهيد يهيد الطبع فى موقف معين ويهد الصنعة
فى موقف آخر . ففى مثل المناظرات الادبية والمحاورات الشعرية ومجالس
الانس عند الملوك وما شابه ذلك لا يجدى الاشعر الطبع الذى يلائم
مثل هذه المواقف . ولكنه لا ينكر على الشاعر التنقيح والتروى اذا كان
لديه متسع من الوقت يسمح بتنقيح قصيدته والنظر فى ابياتها ليكون بمسدا
عن الزلل الذى يقع فيه المتمجّل من الشعراء .

وجب ان لا ننسى ان ابن شهيد فى نصه السابق يتحدث بلسان ابى تمام
متقفا شخصيته كما يفعل عادة مع تابعه كل شاعر يقابله . ولا ابن شهيد ايضا
راى فى الصنعة يكاد يكون معتدلا . ولما تجده عند غيره من النقاد الذين
يتعصبون تعصبا شديدا لأحد المذهبين ويرمون المذهب الآخر بالتقصير
والنقصان قال ابن شهيد : * وكذلك الشعراء انتقلوا عن المادة فــــس

الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذى عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب
اهله ، فكان من صريح الضوانى وشار وابى نواس واصحابهم فى الهديع ما كان .

(١) البيتان لسويد بن كراع الشاعر الأموى .
(٢) لقد اشتهرت الاندلس بمجالسها الادبية والفنائه ومن يقرأ كتب التاريخ
والادب التى تتحدث عن الاندلس يجد شيئا كثيرا من ذلك .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٣

من استعمال افانينه ، والزيادة في تفریح فنونه . ثم جاء ابو تمام فأسرف في
التجنيس ، وخج عن العادة . وطاب ذلك منه ، وامثله الناس ، فكسل
شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تجسه الاّ ذان ، والتوسط في الأمر
اعدل ، ولذلك فضل اهل البصرة صريح الفوانى على ابي تمام لأنه ليس
دياجة الحدّثين على لامة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب .

وهذا بلا شك يدل على اتزان شخصية ابن شهيد النقدية وثقافته الواسعة
التي جعلته يرسم خطا بيانيا لمذهب الصنعة ينتهي الى الاسراف والخسرج
عن العادة عند ابي تمام حتى ان بعض شعره استغلق على افهام الناس .
كما اشرنا الى ذلك سابقا . ويقف ابن شهيد من هذا الاتجاه موقفا وسطيا
وهو الاعتدال في استعمال البديع من طباق وجناس واستماره لأن ما يخسرج
عن حده قد يتقلب الى ضده .

واخيرا نستطيع القول بان ابن شهيد يؤيد الطبع في مكانه المناسب وكذلك
لا ينكر قيمة الصنعة الممتدلة التي لا تخرج عن الحدود الطبيعية لها .

(أثر البيئة في الأديب)

لقد فهم ابن شهيد تأثير البيئة على الأديب وأهميتها في تكوين نفسيته
(١)
وانعكاس ذلك كله على إنتاجه الأدبي فقال : " وأصل قلة هذا الشأن
هدم البيان فساد الأزمنة ونبو الأمكنة " .

وفي هذا دليل ان ابن شهيد يعطى البيئة أهمية خاصة في تقدير
أدب الأديب فهو اذا عاش في بيئة نشطة من الناحية العلمية والأدبية
وتوفرت لها اسباب الرقي الثقافي في جميع المجالات خرج بنفسية ذواقية
صافية تأثرت بما سمعت ورأت كما هو الحال في عصر ابن شهيد نفسه فان الحركة
العلمية في قرطبة في ذلك الوقت كانت في ذروة عزها وشرح شبابها بل كسان
الناس يتفاخرون بالمكاتب واقتناء الكتب النفيسة .

اما اذا عاش الأديب في بيئة فاسدة خاملة لا يتوفر فيها نشاط أدبي
وهي خرج بنفسية انمكست عليها آثار تلك البيئة فجملت حظها من النجاح
قليلا ، واقرب دليل على ذلك فجرة عصر الانحطاط التي تردى فيها الأدب المرير
حتى بلغ الحضيض ، فانا اذا استمرضا أدب تلك الفترة وجدنا انه يعتمد
على الجناس المحض والطباق المفرط والتمقيد اللفظي الذي تعأم منه النفس
البشرية وكل ذلك صدى للبيئة المعقدة التي عبرت عنها نفسية أديبها .

وهذا الرأي لم يكن غريبا او جديدا على عالم النقد كذلك لم يكن لايسر
شهيد فضل سبق اليه وانما تكلم عن البيئة واثرها نقاد سبقوا ابن شهيد

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩ .

يقرون امثال ابن سلام الجمحي والجاحظ والجرجاني وغيرهم . بل ان هذا العامل بالذات كان في بعض الاحيان يعد مقياسا لجودة الشعر وردائه كما يروى لنا صاحب الموشح فيقول : ^(١) " اتى عمر بن ابي ربيعة الفرزدق فأنشده من شعره ، وقال كيف ترى شمري ؟ قال : ارى شمرا حجازيا ان اجسد اقشمر . فقال له : حدثني . فقال : يا بن اخي ، علام احصك ؟ أنا والله اعظم منك فخرا ، واحسن منك شمرا ، واعلى منك ذكرا . "

وهذا النص يذكرنا بقاعدة ما رعليها اكثر النقاد ومنهم ابن شهيد وهو حكمهم بان شعر الهادية اجود من شعر الحاضرة ، لما فيه من قوة وفخامة وجزالة ومن اولئك ابن سلام الجمحي الذي اتخذ هذه القاعدة مقياسا لأحكامه على شعر الشعراء فهو يقول : ^(٢) " واشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بمض الاشكال " ويقول في موضع آخر : ^(٣) " هدى بن زيد كان يسكن الحيرة وراكن الريف ، فلان لسانه وسهل منطقته فحمل عليه شئ كثير " .

وهذه القاعدة وان كانت تعتبر تيارا غنيا يشكل قوته النقاد الأوائل الا انها كانت ماثرا للنقاش والأخذ والرد يقول الدكتور محمد مندور : ^(٤) " والواقع انه اذا كان ابن سلام مصيبا في نظريته الى انتقال الشعر ، فانه اقل اصابة فيما عدا ذلك ولين شعر عدى بن زيد لا يكفي لتعليقه قوله : " أنه سكن

(١) المرزباني . الموشح " دار نهضة مصر ١٩٦٥ م " تحقيق علي محمد الجاوي ص ٣٢٢ .
(٢) ابن سلام الجمحي . طبقات فحول الشعراء " مطبعة المدني القاهرة " ج ١ ص ٢٤٥ .
(٣) ابن سلام . ج ١ ص ١٤٠ .
(٤) الدكتور محمد مندور . النقد المنهجي عند العرب " دار نهضة مصر القاهرة " ص ٢١ .

الحيرة وراكن الريف " . والا حرنا في تمليل " نحت الفرزدق من صخر " و" اغتراف
جرير من بحر " .

وفيما يلوح لى أن الدكتور مندور فهم القضية من زاوية ضيقة محدودة لأشـ

اقل معايير ذلك العصر وحكم عليها بمعياره هو فالبيئة البدوية في عصر ابن

سلام كانت أفصح من البيئة الحضرية في ذلك الوقت . لأن الحضـر اختلطوا
(١)

بغيرهم من الاعاجم والمولدين فضعفت سنتهم وقرائحهم ما دعاهم السـ

ان يذهبوا بابنائهم الى البادية معدن الفصاحة وخير مثل على ذلك رسول

الله صلى الله عليه وسلم الذي تربى في بيئة بنى سمد أفصح العرب واقدرها

على امتلاكها ناصية البيان كما اقتخر عليه الصلاة والعلام بذلك .

(٢)

وفي هذا المجال بالذات يقول ابن شهيد : " كانت الملوك تمسـد

بينها عن التعم الى شظف العيش ، وتدنى محالهم من البادية ، وتبوشهم

منازل الفصاحة ، لتحث اقتدتهم ، وتقتت السنتهم " .

ولكن من الملاحظ أنه قد يكون هناك اختلاف في المفاهيم بين البيتين الحضرية

والبدوية من ذلك القصة المشهورة والتي تنسب الى على بن الجهم عند مسـ
(٣)

(١) بنت الشاطي " ترى عدم وجود فارق بين البيئة البدوية والبيئة الحضرية فسـ
المصر الجاهلي . ولكن هذا الكلام مردود لأن الفوارق بين البيتين واضحة
امام الاعيان لا تحتاج الى اثبات او برهان . " قيم جديدة للادب العربي
دار المعارف ١٩٦١م " ج ١ ص ٢٤

(٢) ابن يسام ١/١ ص ١٩١

(٣) محي الدين بن العربي . محاضرة الابرار وسامرة الاخيار " بتصرف مطبعة
السعادة بمصر ط ١ ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م " ج ٢ ص ٣ .

(١)
دخل على المتوكل الخليفة العباسي وهو جالس في مجلسه وكان ابن الجهم بدويا
جلفا عاش في الصحراء فاثرت فيه بيئتها فخاطب الخليفة قائلا :

انت كالكلب في حفا ظك للـسو * د وكالتيس في قراع الخطوب
انت كالدلول لا عد هناك دلوا * من كبار الدلا كثير الذنوب

فاراد الحضور قتله ولكن الخليفة منهم قائلان : انه اراد المدح ولكن
بيئته اثرت فيه . ثم انه امر ان يبني له قصر على شط الفرات فعاد اليه بعد عام
تقريبا فاستنشد الخليفة فانشد على ابن الجهم قصيدته المشهورة والتي مطلعها :-

عيون المهايين الرصافة والجسر * جبلين الهوى من حيث ادري ولا ادري

وعود على بدء نقول ان ابن شهيد قد فهم تأثير البيئة على الاديب في اوضح

صوره واكتنف وجهه كما هو واضح من خلال اقواله . كذلك لابن شهيد رأى في

الحرب واثرها على الادب والا دباء قال :^(٣) وان الفتنة نسخ للاشياء * مسن

العلوم والأهواء * ترى الفهم فيها باثر السلطة * خاسر الصفة ويلج بأعين

الشان وستنقل بكل مكان . هذا دأبنا وحرينا .

(١) هذه القصة وان كانت تدل على أن للبيئة اثرا كبيرا في اختلاف المفاهيم
الا انها في نظري ليست على جانب كبير من الصحة في نسبتها الى علي
بن الجهم لأنه لم يكن بدويا كما جاء في الرواية وانما ولد في بغداد وفسى
حي يدعوه جليل وتربى في بيئة كلها علم وورثاسه ودخل في صباه كتابتيسب
العلوم وكان اخوه مقربا عند المأمون الخليفة العباسي . فمن اين تأتيسه
الهداوة !؟ انظر عبد الرحمن الباشا . على ابن الجهم حياته وشعره .

(٢) لم يشر احد من النقاد الذين تكلموا عن ابن شهيد الى فهمه لتأثير البيئة
الا الدكتور احمد هيكل فانه قد اشار الى ذلك اشارة عابره . " الأدب -
الاندلسي دار المعارف بمصر ص ٢٣ . ص ٣٩٦

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٢٩ .

الذى كان منسجما لطبيعة تلك الحروب مثل الشعر الجاهلى بين القبائل العربية القديمة والافكيدفسر بعض الممارك والفن التى لم تواكبها الحركة الادبية مثل تلك الحروب الدامية فى عصر الدولات التى كان محصولها الشعرى قليلا جدا . كذلك القضية الفلسطينية التى لا نكاد نلمس لها اى اثر فى الادب العربى ما عدا بعض القصائد التى تتحدث عن الظلم والتوجد .

ولو استعرضنا كتب التاريخ لتبين لنا ان الممارك والحروب التى خاضها المسلمون والعرب تفوق الحصر ولكن ليس لأكثرها صدى فى الادب العربى .

ولكن على الرغم من ذلك كله فانا لانستطيع القول بأن ابن شهيد او غيره من الادباء كانوا صامتين تماما اثناء الفتنه وانما قد حدثت من نشاطهم الادبى كذلك انا نجدهم فى بعض الاحيان يتحدثون عنها اما نثرا او شعرا يقول شهيد :

افى كل عام مصرع لعظيم * اصاب المنيا حادى وقديمى
(٢)
ويقول فى موضع آخر :

يا كسرة دهمتنا ليس تنجسبر * سببة لحقتنا مالها عذر

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢١٨

(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٨٩

(الفصل الثالث)

" ثقافة الناقد "

١- النحو:

لم يحدد الكتاب موقف ابن شهيد من النحو تحديدا دقيقا

واضحا . فبعضهم تكلم عن آرائه في هذا الموضوع ضمن الكلام عن البيان

فلم يكشف عن الموقف الحقيقي لابن شهيد من النحو بل اكتفى بالاجمال

فقط . وما لا شك فيه ان الاجمال في مكان التفصيل ليس مرغوبا فيه .

والبعض الآخر اتهم ابن شهيد بأنه تحامل على التحوين واللغو بين

فصخر من شأنهم وشأن مؤلفاتهم . ولكن فيما يبدو أن هؤلاء فهموا

آراء ابن شهيد في النحو على غير وجهها الصحيح فاظهروه بمظهر

المسيء الى النحو والى اللغة العربية بصفة عامة .

وسنحاول هنا ان نناقش هذه الآراء مناقشة موضوعية لتحديد ذلك

موقف ابن شهيد من النحو تحديدا دقيقا معتمدين على اقواله في

هذا المجال .

(١)

قال ابن شهيد : " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب

(٢)

واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين . "

(٣)

وقول في موضع آخر : " وقول الجاحظ : انا اذا اكثرنا من يعلم

صبياننا النحو والغريب قنعنا بعشرين درهما في الشهر ولو اكثرنا

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧

(٢) هذا تعبير ابن شهيد ويقصد به ان النحو واللغة يجب ان تكون بمقدار

معين لدى صاحب الموهبة .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٨

من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهم .

فكثير من النقاد اعتمد على القولين السابقين او على غيرهما من اقوال ابن شهيد

فقال انه قلل من شأن النحو واللغة واستهان بالتحويين واللغويين .

ولكن اذا انعمنا النظر في اقوال ابن شهيد في هذا الصدد نجد انه يريد

ان يقول ان من اعتقد ان البيان محصور في تعلم النحو واللغة فاعتقاده خاطئ .

لان النحو واللغة يأتیان عن طريق الحفظ والدراسة بينما البيان يتمدى ذلك

الى شئ رنانى وهو الموهبة او السليقة التى لا تتوفر فى كثير من الناس ولا تأتى

ايضا عن طريق التعليم وانما يمنحها الله سبحانه وتعالى فيخص بها اناسا دون آخرين

وهذه الموهبة اذا وجدت واتزن معها علم النحو واللغة وجد البيان .

فنلاحظ ان ابن شهيد فى النص الأول يلتفت الى تلاميذه او الى جلسائه

الذين كانوا يرتادون مجلسه طلبا للفائدة ليقول لهم : اعلموا انكم اذا طلبتم

البيان عن طريق حفظ القريب من الكلمات والتعمق فى مسائل النحو الشائكة

فانكم مخطئون لان البيان لا يتأتى بهذه الطريقة والا أصبح كل من تعلم

النحو واللغة ادبيا وهناك فرق كبير بين الأديب والعالم واقرب دليل على ذلك

شعر علماء اللغة امثال الخليل ابن احمد الفراهيدى الذى كان شعره فى غاية

الركاكة ولكنه مع ذلك من خيرة علماء العربيه . ويجب الا تنسى ايضا ان النحو

وجد بعد البيان لان هناك شعراء وخطباء فى العصر الجاهلى صدر الاسلام

والنحو - كما يقال - لم توضع قواعده الا فى القرن الأول الهجرى .

كذلك ان النحو بوصفه صناعة منفصل عن البيان منغم نشأته ويدل على ذلك

قول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانه * ولكن سليقى اقول فاعسرب

وأما القول الثاني فانه بلاشك رأى يستحق التقدير وهو مؤيد للأول أورده ابن شهيد كدليل او برهان يقوى به حجته . وقصد به ان تعلم النحو يتساوى فيه المتعلمون مع اختلاف درجات فهمهم لأنه شئ مكتسب مثله فسى ذلك مثل اى علم من المعلوم الاخرى التى تعتمد على الحفظ والفهم والدراسة ولكن البيان من المستحيل تعليمه اذا لم تكن هناك موهبة تخلق مع الشخص وتنمو معه فى فترات نموه .

وقوله : " لما قنع منابا الف درهم " ليس معناه ان الأمر يتوقف على كثرة الدراهم او قلتها ولكن لأنه شئ صعب جدا اذا لم يكن من المستحيل ان تجمل من انسان ليست عنده موهبة بيانيه اديبا مرموقا .

كذلك يجب ان نعلم ان النجوع عند ابن شهيد وسيلة الى غاية اخرى وهى سلامة التركيب وبيان المعنى المراد ، وليس هو غاية فى ذاته كما اعتقد بذلك المعلمون فى قرطبة فزعموا ان البيان يتم بتعلم النحو واللغة فعملوا التلاميذ ذلك واوهمهم أنهم من ارباب الفصاحة واصحاب البلاغة ، فجاء كلامهم متكلفا غثا خاليا من عناصر البيان الصحيحه .

ولم يكن هذا الرأى من ابتكار ابن شهيد وانما هو الهدف المقصود من وضع النحو فى الأصل وهو عصم اللسان عن الخطأ ، ثم تطورت تلك القواعد والقوانين حتى اصبحت عند البعض غاية فى ذاتها .

يقول ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع مناظرا اوزة من اوز الجن قسى
(١)
هذا المجال : " فقالت : ايها الضار المفرور ، كيف تحكم فى الفروع وانست

لا تحكم الأصول ٤ ما الذي تحسن ؟ قلت : ارتجال شعره واقتضاب
خطبة ، على حكم المقترح والنصب ، قالت : ليس عن هذا اسألك ، قلت :
ولا بغير هذا اجابوك ، قالت : حكم الجواب ان يقع على اصل السؤال ، وأنا
انما اردت بذلك احسان النحو والفريب اللذين هما اصل الكلام ، ومادة البيان :
قلت : لا جواب عندي غير ما سمعت .

فقد نظر الى التحو على انه مقدمة ضرورية لتحقيق البيان ولكن لم يكن مقصودا
في ذاته . ولذلك يعرض ابن شهيد بيمض معلمى قرطبة في قوله : ^(١) وقوم
من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على اجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ،
يخنون على اكياد غليظه ، وقلوب كقلوب البعيران ، ويرجعون الى فطن حمئة ، واذهان
^(٢) صدئة ، لا منفذ لها في شمع الرقة ، ولا مندب لها في انوار البيان .

وما يجب ملاحظته ان ابن شهيد اعترض على معلمى قرطبة ونحاتهم
المعاصرين له فانتقد طريقتهم في تدريس البيان وتأكيدهم على جعل علم النحو غاية
لا وسيلة ، ولكنه لم يعترض على علم النحو ذاته ولم يتغفل اهميته ، كذلك أنه لم

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

(٢) ابن شهيد لم يكن اول من هاجم المعلمين وانتقد طريقتهم واستهتر بهم
بل سبقه الى ذلك الجاحظ الذى الف كتبها في هذا الشأن وصنف رسائل
في ذلك الضمار وأخرجهم في صورة مثيرة للضحك والسخرية . ولكن نقصد
ابن شهيد للمعلمين يختلف عن نقد الجاحظ لهم فابن شهيد كان نقده
نتيجة عن اثر خصومات ومصادمات وعوامل شخصية دعتة الى ذلك النقصد
بينما الجاحظ كاتب عبقرى أراد ان يلم بكل شئ محيط به في عصره فألف
في الحيوانات وفي البخلاء وفي الحمقى والمغفلين والبرصان والمرجان والفس
كذلك في المعلمين ولسنا في مجال المقارنه بين نقد ابن شهيد
للمعلمين ونقد الجاحظ لهم وإنما اردنا ان نعطي فكرة ميسرة
استدعاها الموقف .

لم يقل من شأن النحويين المشهورين امثال سيويه والفرهيدى كما ذهب السى
ذلك الاستاذ يعقوب زكى حينما قال : ^(١) " نراه يهاجم بشدة كل الملمين ه
حتى علماء النحو المشهورين من امثال سيويه وهاجم الكتب . "

وفيما يدوان الاستاذ يعقوب زكى احمد على قول ابن شهيد فى رسالة
" التوابع والزوابع " حينما كان يناظر صاحب ابن الاغلبى فقال : ^(٢) " قال :
فطارحتى كتاب الخليل . قلت : هو عندى فى زنبيل . قال : فناظرنى على
كتاب سيويه قلت : خربت الهة عندى عليه ، ولى شرح ابن درستويه . "

ويقصد ابن شهيد هنا انه لكثرة قراءته لهذه الكتب وفهمه اياها فهمها
جيدا اصبح لا يحتاج اليها فوضعها فى الزناجيل او فى اماكن اخرى . وهناك
اقوال لابن شهيد نفسه تؤيد ذلك وتدحض التهمة الموجهة اليه . ففى
رسالة " التوابع والزوابع " ذاتها ما يشير الى هذا فقد سألته تابعة الجاحظ
عن صفة كلام قومه فاجابه ابن شهيد بما يدل على ايمانه بان النحو مقدمة
ضرورية لتحصيل البيان . وقد جرى الحوار على النحو التالى : ^(٣) فكيف
كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيويه فيه عمل ه ولا للفرهيدى اليه طريق ه
ولا للبيان عليه سمة . انما هى لكتة اعجمية يؤدون بها المعانى تأديسة
المجوس والنبط فصاح . انا لله ه ذهبت المرء وكلامها ! "

فهل من المعقول ان من يقيس فصاحة المرء وكلامها بعمل سيويه وطريق

(١) يعقوب زكى . مقدمة الديوان ص ٦٨

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٤

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩

الفراهيدى يعمد فيذمها او يذم احدهما ويقلل من قدره (١) ؟ كذلك ان ابن شهيد يمجّد النحو ويعلى من قدره بل يعده اساسا من اساس البيان لا تتم الفصاحة الا به قال : ^(١) " وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو ، وفصح الفرب ، وتهرب من قبيحه " .

وفي هذا دليل قطعى على ان ابن شهيد يوجد علاقة قوية بين النحو والبيان لا تتم سلامة التركيب الا بها ولا تستكمل فصاحة الكلام الا بوجودها .

وما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام مناقشة الدكتور زكى مبارك فى حكمه على ابن شهيد حينما قال : ^(٢) " ولكنه غلب على امره فصيح بشكواه من قلّة انصاف النحويين له وتسلطهم عليه واسرافهم فى ثلثه . فلنفهم هذا جيدا قبل عرض آرائه لنذكر ان اقواله مشربة بالضغف والحقد ، وأنه لا ينبغي أن نتخذها اساسا صالحا لتقدير العلوم العربية من نحو صرف واشتقاق : لأن تلك العلوم ضرورية ، وليس من النفس ان نوافق ابن شهيد على الاستهانة بها وتحقير اهلها ، وان كنا نعرف انها لا تكفى وحدها لمنح طلاب الادب ملكة البيان " .

ومن العجيب حقا ان هذا الاتهام الذى وجهه الدكتور زكى مبارك الى ابن شهيد لا يستند على اى دليل ولا يعتمد على اى برهان .

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩

(٢) الدكتور زكى مبارك ج ٢ ص ٥٩

وان كما لا تنفى عن ابن شهيد خصوصاته الشخصية مع النحاة والتي دعته الى انتقامهم واظهارهم بالمظهر الساخر ولكننا ننفى عنه هجومه على علم النحو - كما زعم الدكتور زكى مبارك - لأن ابن شهيد ليس من الففلة بحيث يهاجم علما اعتمد عليه فهم كتاب الله عز وجل ولو فعل ذلك لا نيسرى له علماء المسلمين واقفوه عند حده .^(١)

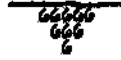
ولكن يزيد الامر عجبا حينما نرى الدكتور زكى مبارك يناقض اقواله في اقل من صفتين وذلك عندما قال :^(٢) " وليس انحاء ابن شهيد على النحو والفريب معناه انه ينكر قيمة ذلك في البيان ، كلا ، وانما يحتم ان يختار الكاتب اطع النحو وافصح الفريب . وملاحظة النحو هذه لم ارها عند احد غير ابن شهيد ، وهو يريد بها اختيار الوضع النحوى الذي يساعد على اداء المعنى ، فقد يكون الكلام مستقيما من الوجهة النحوية ولا يكون مستقيما من الوجهة البيانية فان البلاغة في الواقع تبنى على سلامة التركيب " .

(١) يقول عبد القاهر الجرجانى فى هذا الصدد : " وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له واصفارهم امره وتعاونهم به : فضميمهم فسد ذلك اشنع من ضميمهم فى الذى تقدم ، واشبه ما يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه . ذلك لأنهم لا يجدون بدا من ان يمتروا بالحاجة اليه فيه . ان كان قد علم أن الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاصرار هو الذى يفتحها ، وأن الاعراض كاملة فيها حتى يكون هو المستخرج لها . وأنه المعيار الذى لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يمرض عليه ، والمقياس الذى لا يمرض صحيح من سقيم حتى يرجع اليه " . دلائل الاعجاز " دار المنار

بصر ١٣٦٧ هـ ط ٤ " ص ٢٣ .

(٢) الدكتور زكى مبارك ج ١ ص ٦١

وفى الختام نعتطيع القول بان موقف ابن شهيد مسن
النحو لم يكن موقفا هجوميا او انكاريا لتلك القيمة التي يقدر
بها النحو ولكنه كان ناقما على نحاة قرطبة فهاجمهم واعتبرهم
قطن اليمض انه هاجم النحو وقلل من شأنه فكما وضحتنا
سابقا ان الرجل يملى من مكانة النحو الذى يمد ~~حجج~~
الاساس لجميع علوم اللغة العربية .



٢- ما يجب على الناقد مراعاته :

وبين ابن شهيد ان على الناقد ان يلتزم بيمض المبادئ التي تهتم
(١)
في تقويم العمل الفني كي يخرج حكمه سليما بعيدا عن الزلل . فقال : " ومن
الواجب على الناقد ان يبحث عن الكلام ، ويفتش عن شرف المعاني ، وينظر
مواقع البيان ، ويحترس من حلاوة خدع اللفظ ، ويدع تزويق التركيب ، ويراطل
بين أنحاء البديع ، ويحل اشخاص الصناعة " .

وهذه النصائح قيمة وجديرة بالاهتمام تدل على حصافة ذهن ابن شهيد
ورسخ قدمه في هذا الميدان . وهو يسوقها بطريقة تشبه طريقة بشر بن المعتمر
في صحيفته المشهورة . وليس بعيدا ان يكون ابن شهيد قد افاد منه في ذلك .

فيوص ابن شهيد الناقد بأن ينظر الى جمال اللفظ وشرف المعنى وهما الركيزه
الأولى للأدب وسهما يقوم الاديب ونتاجه الادبي .

كذلك يستحسن في الناقد ان يكون ذكيا نافذ البصيرة فلا يخدع بحلاوة
الألفاظ وزخرفتها ورنينها البراق الذي يراه من اول وهله وانما يجب عليه
ان ينظر ويتمعن في ما تحمله من معاني وافكار . وهذا يؤيد رأى ابن
شهيد في قضية اللفظ والمعنى - السابقة الذكر - والتي يرى فيها ان الأدب
الجيد هو الذي اكملت جوانبه من لفظ ومعنى وسياق .

فعلى اى حال يجب على الناقد ان يكون على مستوى الاحكام التي يصدرها

فلا يتسرع في الحكم على النصوص كي يكون حكمه اكثر موضوعيه وأقل خطأ .

(١)

ثم يتحدث ابن شهيد عن ابن دراج القسطلي الشاعر الاندلسي المعروف
(٢)

فيقول : " والفرق بين أبي عمر وغيره أن ابا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر
الكلام ، ثم زاد بما في أفعاله من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب ،
وما تراه من حوكه للكلام ، وملكه لأحزر الألفاظ ، وسمة صدره ، وجيشة
بحره ، وصحة قدرته على البديع ، وطول طلقه في الوصف ، وبغيته للمعنى
وترديده ، وتلاعبه به وتكريره ، وراحته بما يتعب الناس ، وسمة نفسه فيما
يضيق الأنفاس " .

وفي الواقع ان هذا الكلام على درجة كبيرة من الاهمية لأنه يمطينا
المقاييس الحقيقية لتقوم الشعر والتي تفيد كل ناقد في اصدار حكم موضوعي
بمعيد عن التوقعات والافتراضات .

وشير ابن شهيد في نصه السابق الى الصادر الأوليه لثقافة الشاعر
في ذلك الوقت وهي اللغة والخبر والنسب والتي لا يستطيع ان يستغنى
عنها الشاعر في اكثر اغراضه الشعرية . وقد اشار الى ذلك كثير من النقاد
قبل ابن شهيد ومعه فعرف ابن خلدون الأُدب بقوله : ^(٣) حفظ اشعار
العرب واخبارها والأخذ من كل علم بطرف .

(١) هو ابو عمر احمد بن دراج القسطلي من ابرز شعراء الاندلس واجودهم شعرا حتى انه كان يشبه المتنبي عند اهل الشرق - انظر ترجمته في
ابن بسام ١/١ ص ٤٣ ، وفي الحميدى ص

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٤٥

(٣) ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون " دار احياء التراث العربي - بيروت
ط ٤ " ص ٥٥٣ .

فالأديب يجب ان يكون على درجة عالية من الاطلاع والثقافة والالمام
بمعلوم العصر الذى يعيش فيه .

اما قول ابن شهيد : " وراحتہ بما يتعب الناس " ففيه اشارة الى
ان التمكن من اللغه وغريبها من مزايا الشاعر الجيد وكأنه يشير بذلك
الى قول المتنبى :

انام ملّ جفوز عن شواردها * وسهر الخلق جراها وختصم

ولكن فى الواقع ان التعمد فى البحث عن غريب الألفاظ ونوادرها

ليس مرغوبا فيه فى بعض الأحيان .

” الباب الثالث ”

(الجريد في نقد ابن شهيد)

الفصل الأول

آراء جديدة في موضوعات قديمة

١- موقف ابن شهيد من البيان :

كان لابن شهيد موقف واضح من البيان وهو أنه موهبة الهبة يمنحها الله من يشاء من البشر وإذا لم تتوفر هذه الموهبة في الانسان لا يمكن بآية حال من الاحوال ان يصبح بليفا او من اصحاب البيان يقول في ذلك وهو يخاور تابعة ابن الاقلبي^(١) : " فقال لي : دع عنك . أنا ابو البيان قلت : لا ها الله ! اتما انت كمن وسط ، لا يحسن فيطرب ، ولا يسى ، فيلهى ، قال : لقد طمئني المؤديون . قلت : ليس هو ممن شأنهم ، انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : " الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان " ليس من شمر يفسر ، وأرض تكسر . "

فهنا ينفي ابن شهيد تعليم البيان اذا لم تكن هناك موهبة^(٢) أو ملكة فطرية تخلق مع الشخص . ولكن لا يمتنى ذلك انه يفغل اهمية الصقل والتدريب والا لما اشترط في المتعلم ان يكون نجيبا ومثابرا وغير دليل على ذلك قصته مع اليهودي التي ذكرت في الذخيرة يقول ابن شهيد^(٣) : " وقد كنا اطمعنا هذا الطعام بمض التلاميذ ، فاستطابه وعلم مقداره ، ولكن البطالة على الفتيان غالبية ، والسامة عليهم مسئولية ، فمن بنى على تعليم هذا الشأن فلا يعلم الا اهل النجابة والمثابرة على التعليم ، لأنه من لم ينجب له تلميذ حمل عليه ذلك النقص ، وظن به المجز . "

(١) ابن بسام : ١/١ ص ٢٣٤

(٢) هذه الفكرة - كما نعلم - ليست جديدة على النقد وانما قال بها نقاد كثيرون منهم المسكري والقاضي الجرجاني وابن الاثير وغيرهم وان كانت لآراء ابن شهيد في الموضوع سماتها الخاصة المميزة لها .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

جلس الى يوما يوسف بن اسحاق الاسرائيلي ، وكان أفهم تلميذ مريسي ،
وانا اوصى رجلا عزيزا على من اهل قرطبة ، وأقول له : ان للحروف انسابا
وقربايات تهدو في الكلمات ، فاذا جاوز النسب النسب ، وماج القريب
القريب ، وطابت الالفه ، وحننت الصبحة ، واذا ركبت صور الكلام من تلك ،
حسننا الناظر ، وطابت المخاير ، أفهمت ؟ قال لي : اي والله ! قلت له :
وللمعدوية اذا طليت ، والفصاحة اذا التمت ، قوانين من الكلام ، من طلب
(١)
بها ادرك ، ومن نكب عنها قصر ، أفهمت ؟ قال : نعم ، قلت :
وكما تختار مليح اللفظ ورهيق الكلام ، فكذلك يجب ان تختار مليح النحو ،
وفصيح الغريب ، وشهري من قبيحه ، قال : اجل ، قلت : أفهم شيئا
من عيون كلام القائل :

لممرك اني يوم بانوا ، فلم امت * خفانا على آثارهم ، لصبور
غداة التقينا اذ رميت بنظيرة * ونحن على متن الطريق نصير
قفاضت دموع العين حتى كأنها * لنا ظرها غصن يراح مطير
فقال : اي والله ، وقعت " خفانا " موقما لذيذا ، ووضعت " رميت " و
" متن الطريق " وضعا مليحا . وسرى " غصن يراح مطير " مسرى لطيفا
قلت له : أرجو أنك تتست شيئا من نسيم الفهم ، فأغد على بعض تصنعه ،

(١) نكب : عدل . انظرا بابكر الرازي . مختار الصحاح " مكتبة المؤيد
السمودييه بالطائف ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م " ص ٦٧٨ .

قال ابو عامر : وكان ذلك اليهودى ساكتا يمس ما أقول ، ففدا ذلك القرطبي
فأنشدنى :

حلفت برب مكة والجمال * لقد وزنت كروسى بالجمال
فى ابيات تشبيهه . وجاء اليهودى فأنشدنى :

ايهم ركبانهم منعججا * وقد ضمنوا قلبك اليهودججا ؟

واستمر الى آخر قصيدته ، فأتى بكل حسن ، فقال لى ذلك القرطبي
شعر اليهودى احسن من شعري ، قلت : ولا بأس بفهمك اذا عرفت هذا . ولم
يزل يتدرب باختلافه الى حتى ندى تربه ، وطلع عشبه ، ثم تفتح زهره ، وضاع
عقبه .

فيؤكد ابن شهيد ان للصقل والتعليم اهمية كبيرة جدا ولكن من حرمه
الله نعمة الموهبة او الملكة فمن المستحيل تعليمه البيان وجعله من ذوى الفصاحة
يقول : ^(١) " وقول الجاحظ : انا اذا كثرتنا من يعلم هيباننا النحو والفريسيب
تقع منا بعشرين درهما فى الشهر ، ولو اكثرنا من يعلمهم البيان لما تقع منا
بالف درهم . "

ولم ينظر ابن شهيد فى هذا النص الى كثرة الدراهم او قلتها - كما
وضحنا ذلك سابقا - وانما نظر الى الاستحالة ، فالمعلم لن يقنع منا بالآلاف -

(١) ابن يسام ١/١ ١٩٨ .

الدرهم كي يعلم الصبيان البيان لأنه ليس قادراً على ذلك فهو خارج على استطاعته
ومن هذا النص تصرف الشك الى الدكتور احسان عباس حين حكم على ابن شهيد^(١)
بعدم الوضع يقول : " والمشكلة الكبرى عند ابن شهيد هي : هل من اليسور
أن يعلم الناس البيان ؟ وإذا كان ذلك مستطاعاً ، فلم يتفاوت الناس فيما يتلقون
منه ؟ وموقف ابن شهيد من هذه المشكلة غير واضح ، فهو حينما يرى البيان موهبة
من الله ، ويعلم من قدر الموهبة ويجمليها تموضعا عن الاطلاع ، ونشئ
رسالة التواضع ليدل على قيمة هذه الموهبة ، وتهكم بالمؤدبين ويدل على
افتقارهم اليها . وحينما آخر يزعم أن البيان قد يعلم وان كان ذلك
امراً صعباً .

فموقف ابن شهيد - على العكس من ذلك - واضح تمام الوضع وهو انه
لا بد ان تكون هناك موهبة فطرية فتصقل وتنمى حتى تبلغ درجة معينة من الكمال
وهذا شيء تثبته التجارب العملية لأن الموهبة بدون صقل وتدريب تصبح
قاصرة عن المطاء . فلا بد لمن توفرت فيه ملكة الشعر - مثلاً - ان يقرأ
للشعراء ويحفظ من اشعارهم الجيدة ليتجنب عيوبهم ويأخذ بحاسنهم ومثل
ذلك من توفرت فيه موهبة الكتابة او اى موهبة أخرى . ولكن التدريب او التعليم
وحده لن يخلق لنا . مواهب مهما علت درجته وخير دليل على ذلك اشعار بعض

(١) احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص ١٤٣ .

العلماء التي لا تقارن بمستواهم العلمي والثقافي . وهذا ما لاحظته ابن شهيد
عندما فرق بين العلم والثقافة وبين الملكة الأدبية والتي يسميها في بعض
(١)
الاحيان "طبعا" يقول : " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء
(٢)
مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ."

ويؤكد هذا الرأي بضرب مثال حي من واقعه ينطبق عليه هذا الكلام
(٣)
وهم الملمون فيقول عنهم : " وقوم من الملمين بقرطبتنا ممن اتى على اجزاء
من النحو ، وحفظ كلمات من اللفظة ، يحفون على اكباده غليظه ، وقلوب كقلوب
البحران ، ويرجعون الى فطن حمئة ، واذهان صدئة ، لا منفذ لها في شمع
الرقعة ، ولا مدب لها في انوار البيان . سقطت اليهم كتب في الديدع والنقد
فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على الايقاع ، والزمر على الاحسان
فهم يصفون غرائبها فيما يجرى ، عندهم تصرف من لم يرزق آلة الفهم ، ومن
لم تكن له آلة الصناعة ."

(٤) ويقسم ابن شهيد اصحاب البيان الى ثلاثة اقسام حسب قدرتهم الادبية
فيقول : " واهل صناعة الكلام متباينون في المنزلة ، متفاضلون في شرف
المرتبة ، على مقدار احسانهم وتصرفهم . فمنهم الذي ينظم الاوصاف ، ويختصر

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧
(٢) ويقول ابن شهيد ايضا في هذا المجال : " لا يقوم عندنا بحظهم من الفهم
الحفظ ، ومن العلم الذكر ، وهذا حظ القصص ، واعلى منازل الفواح " ابن
بسام ١/١ ص ١٧٩
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥
(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤

العماني ، وحرز جيد اللفظ الا أنه يصعب عليه الكلام ، وكذا قريحته التأليف حتى انه ربما قصر في الوصف ، وأساء الوضع . فهذا في الابيات القليلة نافرته وفي القريسة المأخذ صائر ، وفي طريقة الجمهور الأعظم ذاهب ، حتى اذا ازدحت عليه ، وانحشدت اليه ، وطالته بهاء المهجعة ، وشرف المنزلة وقف وانقل ، وتلاشى واضحل .

(١)
ومنهم الكارع في بحر الفزارة ، القادح بشماع البراعة ، الذي يمر مر السيل في اندفاعه ، والشكوب في انصبابه ، لا يشكو الفشل ، ولا ينكأ العلسي طول العمل ، اذا ازدحت في الكلام عليه المطالب ، وهلفت بحواشي فكره المآرب ، وحشرت عليه الصمائب والفرائب ، استقل بها كاهله ، واضطلع بثقلها غارسه واعارها من نظره لمحة ومن فكره قدجة ، ثم رمى على جانبيه قد رويت بهاها ، ولبس شماع بهاها ، وفي كاللقوة في المرقب ، سام نظره قد ضم جناحيه ، ووقف على مخليه ، لا تتاح له جارحة الا اقتصها ، ولا تنازله طائفة الا اختطفها ، جرأت كسفرته ، وديهته كفكرته ، فذلك الا لمن يوم حرب الكلام لا تخطى ، ضربته ، ولا تصاب عزته .

ومنهم من يتجافى الكلام ، ويروغ من المقال ، فاذا منى به ، وأخذ بأطراف المحاسن ، وشارك في انحاء من الصنعة ، وجل ما عنده تليق وحيله ، ومذ لك يصاحب الأيام ، ويجارى ابناء الزمان ، ما كان له عقل يغطي على نقصانسه ،

(١) كرع في الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء . انظر ابا بكر الرازي ص ٥٦٧ .

وسياسه يسوس بها فحول زمانه . ومن خرج عن هذه الطبقات الثلاث
لم يستحق اسم البيان ، ولا يدخل في اهل صناعة الكلام .

فالأول : عند ابن شهيد لديه الموهبة ولكنه قصير الباع فلا يجسد
الا في الابيات القليلة .

والثاني : لديه الموهبة وطول النفس يستطيع ان يحتفظ بالجودة مهما
طال به المسير . ومعنى ذلك انه يبدع الطوال الجياد .

والاخير : قليل الموهبة ولكن لديه الذكاء الذى يطفى به على نقص
موهبة فيظهر بمظهر المبدع . والطبقات الثلاث في رأى صاحب النص يستحقون
اسم الادياء دون من عداهم .

وهذا التقسيم يمد من مبتكرات ابن شهيد فلم يقم اى ناقد آخر
بمثل هذا العمل بصرف النظر عن مدى اصابته فى ذلك . ولكن على اى حال
فانه يحمى لابن شهيد ذلك العمل التجديدى الذى يدل على ان هذا
الرجل يحمل عقلية منتظمة تؤمن بالمنطق والنظام ، وهذا ليس غريبا على
عقلية ابن شهيد التى نالت اعجاب العرب وكانت فى " مستوى الممدوح
والتقريظ الذى اصفاه عليه النقاد الاوربيون بسخاء " .

مراعاة مقتضى الحال :

ومما تنبه اليه ابن شهيد في نقده ما يسمى " مراعاة مقتضى الحال " وهو دراسة نفسية المستمع والظروف المحيطة به لتقديم ما يناسب ذلك الموقف .

(١)

وكان بشر بن المعتمر من أوائل الذين تحدثوا في هذه القضية في صحيفة

المشهوره . ولكن ابن شهيد عالجها بطريقة الخاصة لأنه أتى ببعض الأمثلة

الحية التي كانت بمثابة التطبيق العملي لتلك الأقوال ، وفيما يبدو أنه

(٢)

مقتنع بأهمية هذه الناحية ، وما لها من اثر في نجاح الأديب يقول : " لكل

من الناس ضربين الكلام ووجه من البيان " .

وفي هذا إشارة إلى تلك الفروق الفردية بين الناس واختلاف طبائعهم

وتفكيرهم لأن الله عز وجل لم يجعل الناس في مستوى واحد فهناك تباين

في العقول والمراتب والحياة العامة وثمما لهذا الاختلاف تختلف طرق محادثتهم

لأن الرجل المامي لا يكلم بنفس الأسلوب الذي تكلم به الملوك والوزراء ، وطريقة

تفاسك أو محاورتك لانسان جاهل تختلف تماما عن طريقة مناقشة المالم ومحاورته

(٣)

وفي هذا يقول ابن شهيد : " وربما لا ذ بنا المستطعم باسم الشعر ممن

يخطب المامة والخاصة بسؤاله فيصادف منا حالة غير ذات فصلة ، لا تتسع

(١) انظر البيان والتبيين ١٣٦/١ مكتبة الخانجي بمصر ط ٤ ١٣٩٥ - ١٩٧٥م

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢١٢

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٠ - ٢٠١

له في كبيرة مبرة ، فنشاركه ونعتذر له ، وربما افدنا بأبيات يعتمد بها البقالين
(١)
ومشيخة القصابين ، فاذا قرعت اسماعهم ، ومازجت افهامهم ، درحلبهم ،
وانحلت عقدهم ، وجل شخص ذلك الهائس في عيونهم ، فما شئت اذ ذاك من
(٢)
خبزة وثيرة يحشى بها كاه ، ورقية سمينة تدفنسن في مخلاته ، ومن كوز ققاع
يصب في فمه ، وثينة رطبة يسد بها حلقومه ، وسنهبسقة ودكة تدس تحسنت
لسانه ، وفالوذجة رطبة يحنك بها حنكه ، فلا يكاد الهائس يعتتم ذلك حتى
يأتينا فيكب على ايدينا يقبلها ، واطرافنا يلطمها ، راغبا في ان نكشف له السر
الذي حرك العامة فبذلت ما عندها له ، وبادرت بدرها اليه . وتعليمة ذلك
النحو من أنحاء السحر لا نستطيعه ، لأن هذا الذي يريده منا هو
تعليمة البيان ، وبين فكره وبينه حجاب .

وما يؤخذ على ابن شهيد هنا أنه لم يكشف عن تلك الامايل بسبب

التي تحرك العامة او الخاصة شأنه في ذلك شأن غيره من النقاد ويبدو أن هذا
راجع الى ان هذه القضية تخضع للتقدير الشخصي والذوق الفردي مما يجمل
وضع قواعد لها ضربا من التكلف .

(١) يقول الدكتور زكي مبارك حول هذا النص : " وتلك قصة تعرف بهيما
كيف كان الشعر الفصيح ينفع من يستجدون البقالين والقصابين في الاندلس
وكيف كانت تلين اللثة لئلا ابن شهيد حتى يخاطب بها في بلاغة
جميع الطبقات " النثر الفنى ٦٤/٢

(٢) ققاع : شراب . ابوبكر الرازى ص ٥٠٩

ومن الملاحظ ان المرء قد تنبها الى مثل هذه الاشياء منذ القدم
ولذلك اهتموا بمطلع القصيدة وخاتمتها ، ولم يؤثر عنهم التنزل في قصائد
الرثاء ، يقول الجاحظ (٢) : " ومدار الامر على افهام كل قوم بمقدار طاقتهم ،
والحمل عليهم على اقدار منازلهم . "

ولم يخف من اهتمام ابن شهيد بهذه القضية انه لم يلزم الاديب بمراعاة
الموقف فقط بل اوجب عليه ايضا ان ينظر المواقع التي يفزونها بنفس
المتنوع مهما كانت الاحوال فيقول في ذلك (٣) : " واصعب من هذا تحريك البخلاء
من الكبراء الى البذل ، لانهم بمادتهم لا تمكن نقلتهم لمزتهم ، ولمسا
اشتملت عليه ثياب مجدهم ، فلا ينجح تقريرهم ، فها هنا يحتاج الى انقريب
ما يكون من الذهن ، ووسع ما يمكن من الحيلة ، الا ان هذه المصائب
لا يتمكن لدى التفاهة تحريكها ، ولا يد لها من طبقة يكون لها في العامين
بعض التصويب والتصديد . "

وفي هذا دليل على ان الاديب يجب ان يكون ذكيا وينظر الى الأمور
بمنظار دقيق فلا يأتي في موقف الحزن بما يفرح ولا في موقف الفرح بما يحزن
والا كانت النتيجة عكس ما اراد وهذا يذكرنا بقول احد الملوك لشاعر من

(١) الاما روى عن مربية دريد بن الصمة في اخيه التي مظلمها :
ارث جديد الحبل من أم معبد * بماقية وأخلفت كل موعسد ؟

ابن رشيق : المدة ١٥١/٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٣/١

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠١

(١)

الشمراء : " ان الموت حق ، وان لنا فيه نصيبا ، غير أن الطوك تكبره

ذكر ما ينكد عيشها ، ويغص لذتها ، فلا تأتينا بشئ مما نكره ذكره . " وفي

هذا الصدد يقول ابن شهيد : ^(٢) " ان لكل مقام مقالا . " واكثر ما برزت

مثل هذه النواحي في الخطب المياسيه لأن من اهدافها استعالة

الجاهير وكسب صفوفها ولا يتم ذلك الا اذا خوطبوا بما يفهمون وما يوافق

ميولهم وعقولهم .

ونستفيد من كل ذلك ان ابن شهيد فهم هذه القضية فهما جيدا بسبب

انه جعلها شرطا اساسيا في نجاح الاديب وشهرته لأنه استطاع ان يصل

بينه وبين المستمع . يقول الدكتور زكى مبارك : ^(٣) " يرى ابن شهيد

أن البلاغة تختلف باختلاف أقدار المخاطبين ومعنى هذا أن البلاغة صالحة

نفسية بين المتكلم والمخاطب فهي ترجع الى فهم المتكلمين لنفوس المخاطبين

وعلى ذلك لا يكون اساس بلاغة الكلام صلاحيته لأن يلقي الى جميع الناس

في جميع الاحوال ، وانما بلاغة الكلام ان يبلغ بصاحبه الى الفرض

الذي يرى اليه عند الخطاب وجملة القول في هذا المعنى أن البلاغة

ضرب من المياسة النفسية .

(١) ابن رشيقي ٢٢٢/١

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢

(٣) زكى مبارك ٢ ص ٦٥ - ٦٦

ومن ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد نظر إلى فكرة مقتضى الحال نظرة
نفسية ففرق بين المخاطبين نفسياً إضافة إلى الفرق بينهم في القدرة على
الفهم كما قال العرب وذلك يكون عند ابن شهيد شيء من التجديد في هذه
الناحية . وفي حقيقة الأمر الحالة النفسية للمستمع مهمة جداً
لأنها تؤثر على مآثر مدارك الشخص وإحاسيسه .



السجع :

عاش ابن شهيد في عصر طفى فيه السجع على بقية الاساليب بل انه
(١)

اصبح من خصائص ذلك العصر كما يقول الدكتور زكى مبارك : " التزام السجع

صار من خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ٠٠٠٠ ولم يخرج من كتاب هذا

المصر الى الحرية فى الصياغة الفنية الا عدد قليل ."

ولكن لا يفهم من هذا ان ابن شهيد من الذين يهدون السجع او يتعصبون

له كما فعل بعض الكتاب فى ذلك الوقت ولكنه فيما يبدو ليس مقتنعا بهذا الاسلوب

وانما كان لذوق العصر واعجاب اهله بالسجع وشغفهم به دخل كبير فى ادعائه
(٢)

للكتابه بذلك الاسلوب وهذا ما يوضحه الحوار الذى دار بينه وبين تاجمسة
(٣)

الجاحظ فى رسالة التواضع والزواجع : " فقال : انك لخطيب وحائك

للکلام مجيد ، لولا أنك مفرى بالسجع ، فكلامك نظم لا نثر . فقلت فى نفسى :

قرعك - بالله - بقارعتك ، وجاءك بمماثلته ، ثم قلت له : ليس هذا - أعزك

الله - زنى جهلا بأمر السجع ، وما فى المماثلة والمقابلة من فضل ، ولكنى

عدمت ببلى فرسان الكلام . ودهيت بغباوة أهل الزمان ، وبالحرأ أن احركهم
(٤)

بالازدواج . ولو فرشت للكلام فيهم طولقا ، وتحركت لهم حركة مشول ، لكان

(١) زكى مبارك ١/١٣٧

(٢) نحن هنا لا نعالج الموقف من ناحيته ادبيته لنهين خصائص اسلوب ابن شهيد
وانما نعرض الى ذلك من ناحية نقدية وهو موقفه من السجع .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٤) فى روايه الكلاعى : " أن احركهم بذلك " الكلاعى : احكام صنعة الكلام .
دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ م ص ٢٣٧ . وهناك بعض الفقرات التى يختلسف

فيها الكلاعى مع ابن بسام صاحب الزخيره .
(٥) " الشام والشولم والشيلم كراع الزوان الذى يكون فى البر سوادية " انظر
ابن منظور . لسان العرب " الدار المصرية للتأليف والترجمة " ج ١٥ ص ٢١٧ .

أرفع لى عندهم ، وأولج فى نفوسهم ، فقال : أهدأ على تلك المناظر ، وكبر
تلك المحابر ، وكما لك الطيالىس ؟ قلت : نعم ، انها لحاء الشجر ، وليس
ثم ثم ولا عبق . قال لى : صدقت ، انى أراك قد ماثلت مسمى . قلت :
كما سمعت قال : فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لميوسيه فيه عمل ، ولا
للفراهيدى اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هى لكفة أعجبية يؤدون بها
العمانى تأدية الجوس والنبط . فصاح : انا لله ، ذهبت المـسـرب
(١)
وكلامها ! ارمهم يا هذا بسجع الكهان ، فمسى أن ينفعك عندهم ، ويطير
لك ذكرا فيهم . وما أراك مع ذلك الا ثقيل الوطأة عليهم ، كرهه الجـسـس
اليهم . فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت أنه صاحب عبد الحميد ،
ونفسى مرتقبة الى ما يكون منه : لا يفرنك منه أبا عينه — تابعة الجاحظ —
ما تكلف لك من المماثلة . ان السجع لطبعه ، وان ما اسمعك كلفه . ولو امتد
به طلق الكلام ، وجرت افراسه فى ميدان البيان ، لصلى كودنه ، وكسل
برشته .

وفى هذا النص نجد ابن شهيد يقف من السجع موقفا سلبيا ويرمى ابتداء
عصره بالجهل ويربط بين ذلك وبين حرمه المتناهى للسجع مما يدل على أنه
رأى أن ذوق المصريين بالشكل ولا يهتم كثيرا بالجواهر ولهذا ذهب السـس
ان السجع المستحب لديهم هو ما يشبه سجع الكهان الذى نهى عنه الرسول صلـس

(١) يقصد هنا ابن شهيد اما ان الادياء لا بد لهم ان يعودوا الى الادب الجاهل
والاصالة العربية كى يقوى اساسهم وتصلق مواهبهم . او انه اراد ان هذه
الاذواق فاسدة حتى اصبحت تفضل السى على الحسن .

الله عليه وسلم لما فيه من الخرافات ، واذنا نظرنا اليه من الناحية الفنية

وجدناه متكلفا بيد وعليه اثر الصنعة الموقوتة .

ولكن ابن شهيد في حقيقة الأمر قما كثيرا على ابناء تلك الفترة لأننا

لو استعرضنا التاريخ لوجدنا انه عاش في عصر يزخر بالادباء والملماء الافاضل

الذين لا يتكبر فضلهم ولا يغمط حقهم وخير دليل على ذلك رسالة ابن حزم^(١)

في فضل الاندلس التي ذكر فيها من ادبائها وعلمائها ما يفوق الحصر . ثم

يبدأ موقف ابن شهيد في الاعتدال حين يشترط في السجع الذي يمكن أن يقبل^(٢)

شروطا لا تكاد نجدها عند كثير من النقاد يقول في ذلك : " ان لسجماك

موضعا من القلب ، ومكانا من النفس ، وقد اعرت من طبعك ، وحلاوة لفظك ،

وملاحة سوقك . "

ولا يتحقق ذلك — كما نعلم — الا اذا كان السجع خاليا من التكلف والتمصيف

حلو اللفظ طليح السياق فيصبح بذلك مقبولا عند الجميع .

وفي الحقيقة ان الادباء في الاندلس كانوا ينقسمون الى قسمين فهمضهم

كان يترسل في اسلوبه مقتدين بمحمد الحميد وسهل بن هارون والجاحظ وغيرهم

والقسم الآخر كان يصجع مقتدين بابن العميد وابن حيان وديع الزمان

وغيرهم .

(١) انظر القرى : نفع الطيب ١٧٨/٣

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٠

وفي واقع الامر ان اصحاب الترسل يرون السجع قيذا للاديب يحول بينه وبين الانطلاق وراء فكرته ولذلك يجعل اللفظ والحصول عليه هــــهـ وفاقته ما يجعله في بعض الاحيان يلجأ الى الالفاظ الممقدة والفريسة مراعاة للفاصلة ما يحد ويهذه الاساليب الجنوح الى الابهام والقموض .
وستدلون أيضا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذم السجع " اسجما (١)
كسجع الكهان " (٢)

واما الفريق المقابل وهم اصحاب السجع فيرون انه لون من الوان البلاغة وستدلون بوجوده في القرآن الكريم وهو ابلغ كتاب عرفته البشرية وفيه القدوة الحسنة ويفسرون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم : انه لم يذم السجع ولو اراد ذلك " لقال : اسجما ، ثم سكت ، وكيف يذمه ويكرهه ،
واذا سلم من التكلف ، وبرىء من التمسف لم يكن في جميع صنوف الكلام احسن منه " ويقول ابن الاثير : " وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هـــهـ الصناعة ، ولارى لذلك وجها سوى عجزهم ان يأتوا به ، والافلوكان (٤)
مذموما لما ورد في القرآن الكريم " (٥)

-
- (١) ابو هلال المسكوى : الصناعتين ص ٢٦٢ .
(٢) وفي رواية " اسجع كسجع الأعراب " وفي رواية اخرى : " اسجع الجاهلية وكهانتها " وفي رواية ايضا " انما هذا من اخوان الكهان " سنن ابى داود ط ١ " ١٣٧١هـ - ١٩٥١م " مصطفى الهابى الحلبي ج١ ص : ٤٩٧
ص ٤٩٩ .
(٣) ابو هلال المسكوى : ٢٦٢ (٤) ابن الاثير . المثل السائر " نهضة مصر ط ١ " ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م " ج١ ص ٢٧١ (٥) لقد عالجت كتب الاعجاز في القرآن الكريم موضوع السجع في القرآن فمنهم من اثبته ومنهم نفاه وبعضهم سماه فواصل كالباقلانى وللاستزادة يرجع الى هذه الكتب .

وهل الرغم من ان ادباء الاندلس كانوا بصفة عامة يفتنون بالشارقة على
اختلاف عصور الأدب في المشرق فان من الملاحظ ان الكاتب الواحد يمكن
ان يسجع احيانا وان لا يسجع احيانا اخرى ولكن ذلك لم يكن قاصرا على
الاندلسيين فقد عرفت امثلة لذلك في المشرق ايضا عند الامدى والباقلانى
والمسكرى والحامى وغيرهم . (١)
وهذا يبطل الاعتقاد الذي قال به
الدكتور شوقي ضيف من ان ذلك كان مقتصرا على ادباء الاندلس يقول : " ابن
شهيد لا يستخدم فيها - رسالة التوابع والزواج - دائما اسلوب السجع
بل تارة يسجع وتارة لا يسجع وهذا معنى قولنا ان الكاتب الكبير فسى
الاندلس لم يكن يخضع في صنع نماذجه لمذهب معين من مذاهب المشرق
بل هو - على نحو ما نرى الآن عند ابن شهيد - كان يتقلب بين المذاهب
والمناهج المختلفة " .

فالأدلة تخالف ما ذهب اليه الدكتور شوقي ضيف كما رأينا .

(١) الدكتور زكى مبارك ١٣٧/١
(٢) الدكتور شوقي ضيف . الفن ومذاهبه في النثر العربي " دار المعارف
بمصر ط ٥ " ص ٣٢٣

٤- بناء القصيدة :

من القضايا التي عالجها ابن شهيد في نقده الخرج على ذلك النظام المتبع في القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي ، وهو ما يسمى بالمقدمة الطلبية وانكاره الشديد على الشعراء الذين يولون هذه المقدمة اهتماما ينسبهم الفرض الاساسي الذي من اجله انشئت القصيدة فلا يسمون اليه الا اشارة بسيطة لا تفي بالمطلوب .

(١)

يقول ابن شهيد : " وما يلزم المدعي لصناعة الكلام اذا اعتمده وصف حالة أن يستوفي جميعها ، ويكون ما يطلبه من الابداع والاختراع فيها غير خايج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وافخم للتكلم به ، وأدل على ان الكلام له ومن تأليفه ، لا كما شهدته يوما عند ابن حمسود وقد صدر عن ابن الشرب ، ومدحه عدة شعراء ، صدور أشعارهم لزئيب والرباب ولميس وفرتى ، وأعجازها للجود والكرم ومذل اللهي ، ولم يلهم

أحد منهم بذلك الفرض او المفزى الا في بيتين أو ثلاثة . "

وهذا يعطينا فكرة عن حالة الشعر في عصر ابن شهيد وأنه لم يزل ملتزما بتلك القيود العربية كما هو الحال عند شعراء المشرق . ومن المناسب

(٢)

هنا ان نذكر تلك القصة التي رويت عن والي خراسان في عصر بني امية : " كان بعض الرجاز اتى نصر بن سيار والي خراسان لبني امية فمدحه بقصيدة

(١) ابن بسام ١/١ ٢٧٣

(٢) ابن قتيبة ٧٦/١

تشبيها مائة بيت ومديحها عشرة ابيات فقال نصر : والله ما ابيقت
كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شغلته عن مدحى بتشبيك
فان اردت مدحى فاقصد فى النسيب .^٥

وفيما يبدو أن عند ابن شهيد نزعة تحريرية تميل الى انكار تلك التقاليد
التي قيدت بها القصيدة العربية القديمة ، وهذه محاولة ترجع الى
(١)
ابى نواس فى القرن الثانى الهجرى الذى يقول :

صفة الطول بلاغة القدم * فاجمل صفاتك لابنة الكرم
لاتخذ عن عن التى جمعت * سقم الصحيح ، وصحة السقم
وصديقة الروح التى حجبت * عن ناظريك ، وقيم الجسم
(٢)
ويقول أيضا :

لا تترك ليلى ، ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد

ولكن الدافع الرئيسى لابي نواس فى هذا الانكار هو الشموية او التعصب
ضد العرب وتحقير تقاليدهم والدليل على ذلك انه استبدل بالمقدمة الطليبية
مقدمة اخرى تصف الخمر وهذا استبدال تقليد بتقليد ليس اكثر من ذلك
بل ان الوقوف على اطلال المجبروتة والتفضل فيها اصدق احساسا واعمى
(٣)
تجربة من وصف الخمر . خلافا لما يمتقده الدكتور حسين عطوان حين يقول :
(٤)

(١) ابونواس . الديوان ص ٥٣٩ (٢) ابونواس . الديوان ص ١٨٠ .
(٣) يقول الدكتور طه حسين عن دعوة ابي نواس : يذم القديم — لا لأنه قديم — بل لأنه قديم ،
بل لأنه قديم ، ولكنه عربى ، ويمدح الحديث — لا لأنه حديث — بل لأنه
حديث ، ولأنه فارسى ، فهو اذن مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب
الشموية المشهور . حديث الاربعاء . دار المعارف بمصر ط ١١ ج ٢ —
ص ٩٠ . وقال بذلك الراى أيضا الاستاذ المقاد الذى استدل على ذلك =

وفي رأينا أن ابانواس لم ينزع طزعا شمويا في دعوته وثورته ، انما كان يهتدف
الى الصديق الفنى . * اما الدكتور شوقى ضيف فقد عزا ذلك الى مجوسه
(١)
وخلاعه . وفي الواقع ان الادللة لا تؤيد ما ذهب اليه اى من الدكتورين .

ولكن هناك بعض من نادى بالتحسر من هذه الشدمة انكارا لها واحتجاجا
على كونها شرطا فى كل قصيدة . ويقوم نقد هؤلاء على عامل فنى خالص
(٢)
بصرف النظر عن مدى اصابهم فى ذلك ، يقول المتنبى : —

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * اكل فصيح قال شعرا ضميم

وقد لاقت هذه الدعوة صداها عند كثير من الشعراء الذين خرجوا على
هذه التقاليد امثال البحترى والمتنبى وغيرهما مهتدين بالفرض الاماسى
(٣)
فى القصيدة دون مقدمات او خاتمات . يقول ابن رشيق : * ومن الشعراء
من لا يجمل لكلامه بسطا من النسيب بل يهجم على ما يريد مكافحة
ومتناوله صافحة . *

بتهديد الخليفة له وامره بالكف عن ذلك . ابونواس الحسن بن هانى *

* مطبعة الرماله " ص ١٤٤ .

(٤) الدكتور حسين عطوان . مقدمة القصيدة العربية " دار المعارف

بصر ١٩٧٤ م " ص ١١٣ .

(١) الدكتور شوقى ضيف . العصر العباسى الاول " دار المعارف بصر ١٩٦٥ م
ص ٢٣١ .

(٢) المتنبى . الديوان ج ٤ ص ٦٩

(٣) ابن رشيق ٢٣١/١

ومن الملاحظ ان ابن شهيد خالف في شعره المبدأ الذي نادى بـ
(١)
في نقده فلو نظرنا الى قصيدته في مدح ابي مروان والتي مطلعها :

منزلهم تبكى اليك عفاها * سقتها الثريا بالفري نحاءها

لوجدنا ان ابيات الغزل فيها تبلغ اربعة عشر بيتا بينما ابيات المدح

لا تتجاوز ثلاثة عشر بيتا . وشبهه بذلك قصيدته التي مدح بها عبدالمزور
(٢)
المؤمن ومطلعها :

اذن الديك فثبت او شوب * وانضح القلب بما العنوب

وفي هذه القصيدة بالذات دليل على أن دعوة ابي نواس السابق
ذكرها كانت معروفة عند شعراء المغرب فهذا ابن شهيد يفتح قصيدته
بذكر الخمر كما فعل ابو نواس في قصائده .

وبدل هذا على الانقسام بين شعر ابن شهيد ونقده ذلك أنه في نقده
متحرر لا يؤمن بالتقييد بالمقدمة الطللية ولا بأية مقدمة غيرها . فسي
حين أنه في شعره يحافظ احيانا على المقدمة الطللية بل يلتزم احيانا اخرى
بالمقدمة الخمريّة .

وما يجدر ذكره ان ابن شهيد فطن الى وحدة العمل الادبي في اوضح
(٣)

صورها وذلك حين يقول : " مما يلزم المدعى لصناعة الكلام اذا اعتمد

(١) يعقوب زكي الديوان ص ٨٢

(٢) يعقوب زكي . الديوان ص ٩٢

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٧٣

وصف حالة أن يستوفى جميعها ، ويكون ما يطلبه من الابداع والاختراع فيها غير خارج عنها وما هو يسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وافخم للمتكلم به ، وأدل على ان الكلام له ومن تأليفه .^٥

ومعد ابن شهيد من اقرب النقاد الى فهم وحدة العمل الادبى لأن اكثرهم
(١)
اعتنى باجزاء القصيدة من مدح او ذم او غزل وتوثيق الصلة بين هذه الاغراض^٦
ولم يفتن احد منهم الى وحدة العمل الادبى فى القصيدة على نحو ما نفهم
اليوم ولهذا لم يناف بناء القصيدة الجاهلية ، فى فهمهم ، مع تأليف المعانى
فى الوحدة العامة كما دعا اليها امثال ابن طباطبا ، اذ نراه - على الرغم
(٢)
من توكيده هذا التأليف والانسجام بين المعانى - يقول : " وسلك (الشاعر)
منهاج اصحاب الرسائل^٧ فيحتاج الشاعر الى أن يصل كلامه - على تصرفه
فى فنونه - صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح الى
الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستراحة بالطف تخلص واحسن حكاية ، بلا
انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به وممزجا معه .^٨ وفى
هذا يرى ابن طباطبا أن مجرد وصل أجزاء القصيدة على نظامها الجاهلى
فى جمعها بين الغزل والمدح ، أو وصف الديار والآثار والنوق - وحدة لها ،
فلا يكون المعنى الثانى متفصلا عما قبله متى تخلص الشاعر اليه تخلصا

(١) الدكتور محمد عنبي هلال - النقد الادبى الحديث - الانجلو المصرية
ط ٥ ١٩٧١م

(٢) ابن طباطبا ص ٦

حسنا ، وأن كان في الواقع مفايرا للمعاني التي سبقته ، ولا يبرر لجمعها
معا الا النظام التقليدي ، كالجمع بين الفزل والمدح ، أو بين الأشار
والفيافى والنوق والشكوى والاستماحة

ان نقاد العرب لم يأتوا بجديد فيما يخص وحدة العمل الفنى فكانت
عنايتهم بالاجزاء وتوثيق الصلة بينها اشد من عنايتهم بوحدة العمل الفنى جملة . "

لكن ابن شهيد - بلا شك - استوعب هذه القضية وتبلورت في ذهنه

فمبر عنها تعبيرا دقيقا وان كان في حديثه شيء من الايجاز كما اشار الى
(١)

ذلك الدكتور احمد هيكل فقال : " لع ابن شهيد بحديث موجز عن

الوحدة الفنية ، فذكر أنه على من يتمرض لمعالجة موضوع أن يستوفى جوانبه

أولاً ، والا يخرج عما هو بسبيله ثانياً . "

(١) الدكتور احمد هيكل ص ٣٩٧ .

الفصل الثاني

ارتداد بعض القضايا الجديدة

ما لا شك فيه ان ابن شهيد ناقد عبقرى وعقلية غير عادية لأنه استطاع ان يكون رائدا لبعض الآراء الجديدة التي يعود الفضل فيها اليه ، كذلك ان بعض نظرياته او آرائه لم تكشف الا في هذا العصر كما سوف نوضح .

فاقل ما يمكن ان نقوله عن ابن شهيد انه رجل ابداعي او متحرر - اذ اصح هذا التعبير - لا يؤمن بالتهجيه وان كانت بعض اقواله لا تستند على أساس علمي وانما هونتاج التصيرة النافذة والذكاء الخارق .

ففي هذا الفصل تموض ابن شهيد للالهام الشعري فنظر اليه نظرة تختلف عن نظرة بقية النقاد ، كذلك اشار الى المنهج التاريخي ، ثم تكلم عن علم الجمال بطريقة جديدة ، وجعل الممارضة دليلا على تفوق الشاعر ثم ربط بين اعضاء الاديب وقدرته العقلية ، واخيرا اشار الى هيئة الاديب واهميتها في كمال شخصيته .

وكل هذه القضايا كما نرى فيها شي من الجدة والطفرة .

أولاً : الالتهام الشعري

تكلم ابن شهيد عن الالتهام الشعري او ما اصطلح على تسميته عند العرب بشياطين الشعراء . وهي فكرة قديمة جدا تزعم ان لكل شاعر شيطانا يلهمه الشعر ويساعده على نظم القصائد . بل تخيلوا ان للجن قبائل وطوائف متعددة قياسية على حياتهم التي يعيشونها ، فمنهم بنو الشيعبان الذين ذكرهم حسان بن ثابت في قوله :

اذا ما تورع فينا القســلام * فما ان يقال له من هــــــــــــــــــوه

اذا لم يعد قبل شق الازار * فذلك فينا الذي لا هــــــــــــــــــوه

ولي صاحب من بنى الشيعبان * فطورا اقول وطورا هــــــــــــــــــوه

(٣)

وهناك من قال : ان فيهم امراء وشيوخا انظر الى قول الراجز :-

انى - وان كت صغير السن * وكان في المين نسوعنسى

فان شيطانى امير الجن * يذهب بي في الشعر كل فن

ولقد وقف النقاد حيال هذه القضية مواقف متعددة ولكن افضل من علل هذه النظرة (٤)

عند العرب ابن حزم الذي رد ذلك الى ما ألقى في رؤسهم من ان الجن

(١) هذا الاعتقاد كان سائدا الى وقت قريب عند بعض قبائل الجزيرة العربية فتزعم ان الشاعر يلزمه شيطانه ويساعده خاصة في المناظرات الشعرية واعنى هنا شعراء النبط او الشعر الشعبي .

(٢) حسان بن ثابت : الديوان ج ١ ص ٥٢٠

(٣) الدكتور محمد حسين عبدالله : مقدمة في النقد الادبي دار البحوث العلمية الكويت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ط ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٧

(٤) محمد عبد المنعم خفاجى . الحياة الأدبية طبع سنة ١٩٤٩م ص ١٧٦

صدر قوه خارقه يمجز الانس عن القيام بمثلها • وهذا التمليل نصيبه
من الصحة كبير لانه يمكن نفسية العرب وانطباعهم عن الجن فكأن روى انهم
كانوا يخافونهم خوفا شديدا الى درجة انهم اذا هبطوا واديا وارادوا المبيت
فيه قالوا : نموذ بسيد هذا الوادى من سفها قوم بل ان بعض العرب كانوا
(١)
" يعبدون الجن • ويجملونهم شركاء الله • بيدهم الضر والنفع • والخير
والشر • "

فجاء الاسلام وبين ان الانسان هو سيد هذا الكون ورد اليه كرامته
التي منحها من عند الله ولذلك اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم
اذا هبط مكانا موحشا ان يقول اللهم انى اعوذ بك من الخبيث والخبيثات •

وكان العرب يرون فى سلوك الشاعر بعض الغرابه فيأتى - مثلا - بكلام
لا يستطيع احد منهم ان يأتى بمثله • ويميل اعمالا غريبة وشاذة فى بعض
الحالات فاذا ازاد الهجاء " لبس حلة خاصه • لعلها كحلل الكهـان
(٢)
وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقى رأسه • وانتعل نملا واحدة • •
ومثل ذلك ما روى عن جرير فى رده على هجاء البميث حين يتقلب على فراشه
عريانا • وبالطبع كل هذه الشياء جعلتهم يحكمون على الشاعر بأن له شيطانا
يلهمه الشعر ويساعده على قوله •

(١) الدكتور محمد غنيمى هلال : النقد الادبى الحديث ص ٣٦٦
(٢) شوقى ضيف : المصر الجاهلى دار المعارف بمصر ١٩٦١م ص ١٩٧

ولكن السؤال المطروح هو ان هذا شعور المستمعين ولكن ما هو شعور

الشاعر نفسه الذى يؤكد ان هناك من يلبسه الشعر ؟!

وهنا نقول ان نشأة هذه الفكرة ربما ترجع الى ان الشاعر يلاحظ ان الشعر
يأتيه عفويا سهلا فى بعض الاحيان ويستعص عليه فى بعضها الآخر دون ان
يجد تفسيراً معقولاً لذلك فلجأ الى فكرة الشياطين فى محاولة منه لفهم هذه
الظاهرة . وقد رأى الشعراء بعد ذلك انهم يزدادون هيبة فى اعين المستمعين
وهذا بالطبع ما يريد كل شاعر لنفسه .

(١)

قال ابن حزم : " قال
ابو محمد : وهم يرونا ولا نراهم قال تعالى : " انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم " فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل " الا ابليس كان من الجن "
قال ابو محمد : واذا اخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم
او رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم ."

ونمضى هنا الى رسالة " التوابع والزوابع " التى تدور حول هذا الموضوع
لنبيين من خلالها موقف ابن شهيد من فكرة شياطين الشعراء .

وبدايتها ان بعض معاصريه استغرب منه هذه المبقرة وجزم بانها لا تصدق
منه وحده فلا بد ان تكون هناك قوة اخرى تؤيده فقال : " كيف ارض الحكم
صبا ، وهز بجنتي نخلة الكلام فاصاقت عليه رطبا جنيا ؟ أما ان به شيطاننا

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والتحل المطبعة الادبية سنة ١٣٢٠ هـ

ج ٥ ص ١٢
(٢) ابن بسام : ١/١ ص ٢١٠

يهدية ، وهيصبانا يأتيه ! واقسم ان له تابعة تنجده ، وزابحة تؤيده
ليس هذا في قدرة الانس ، ولا هذا النفس لهذه النفس .

فيقول له ابن شهيد اجابة على سؤاله وبيننا قصة اتصاله بعالم الجن :^(١)
كنت ايام كتاب الهجاء ، احسن الى الادباء ، واصبوا لي تأليف الكلام ، فاتيتمت
الدواوين ، وجلست الى الاساتيد ، فنبض لي عرق الفهم .

... وكان لي اوائل صبوتي هوى اشد به كلفي ، ثم لحقني بعد مسأل
في اثناء ذلك الميل . فاتفق ان مات من كنت اهواه مدة ذلك الملل ، فجزعت
واخذت في رثائه يوما في الحائر ، وقد ابيهت على ابوابه ، وانفردت فقلت :

تولى الحمام بظبي الخدور * وفاز الردي بالفزال الفريزر

الى ان اتشيت الى الاعتذار من الملل الذي كان ، فقلت :

وكت ملتك لا عن قلبي * ولا عن فساد جري ، في ضميري

فارتج على القول وافحمت ، فاذا انا بفارس بيباب المجلس على فرس ادهم كما بقل
وجهه ، قد اتكأ على راحته ، وصاح بي : اعجزا يا فتى الانس ؟ قلت : لا وابيك ،

للكلام احيان ، وهذا شأن الانسان ! قال لي : قل بعمده :

كمثل ملال الفتى للنميم * اذا دام فيه وحال السرور

فأثبت اجازته ، وقت له : يا بى أنت ! من أنت ؟ قال : انا زهير بن نمير
من اشجع الجن . فقلت : وما الذي حداك الى التصور لي ؟ فقال : هوى

فيك ، ورغبة في اصطفاك . قلت : اهلا بك ايها الوجه الوضح ، صادفت

قلبا اليك مقلوبا ، وهوى نحوك مجتوبا . وتحادثنا حيننا ثم قال : متى
سئت استحضاري فأنشد هذه الابيات :

والى زهير الحب ياعزاتنه * اذا ذكرته الذاكرات أتاهنا
اذا جرت الأفواه يوما بذكرها * يخيل لى أنى أقبل فاهسنا
فأغشى ديار الذاكرين وان نأت * أجارع من دارى هوى لهواها
واوثب الادهم جدار الحائط ثم غاب عنى . وكنت أبا بكرضى أرتج على أو انقطع
بى مسلك ، أو خاننى أسلوب أنشد الإيات فيمثل لى صاحبى فأسير الى ما أرغب
وأدرك بقريحتى ما أطلب . وتأكدت صحبتنا ، وجرت قصص لولان يطول الكتاب
لذكرت اكثرها .

ولكن فيما يبدو ان ايمان ابن شهيد بشياطين الشعراء كان على سبيل الفكاهة
والمزاح فقد قال ابن بسام عن رسالته " التوايح والزوايح " وان صدرت عنه
مصدر هزل ، فتشتمل على بدائع وروائع .

(٢)

وذكرنى بعض الكتب انه سماها " شجرة الفكاهة " مما يدل على أن القضية
عند ابن شهيد لا تؤخذ مأخذ الجد . وما يؤكد ذلك أيضا تلك الالتماس
التي اتى بها على السنة البغال والحمير والتي تثير الضحك وتبعث السرور فى النفس
يقول ابن حيان : " وله رسائل كثيرة فى فنون الفكاهة وانواع التمرض والاهزال " .

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢١٠

(٢) الحميدى ص ٣٧٤

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٧٢

ولكن اذا صرفنا النظر عن مجمل رسالة " التوابع والزوابع " والتي تعد في حد ذاتها عملا جديدا ، فاننا نجد عند ابن شهيد في هذا المجال بعض الابتكارات التي ينسب فضلها اليه . من ذلك مساواته بين الكتاب والشعراء في ان لكل منهم شيطانا يلهمه منه الخاص به لأن الاعتقاد السائد منذ القدم ان الشياطين تتصل بالشعراء فقط دون غيرهم .

وكان ابن شهيد بحمله هذا يلقي بعض الاسئلة الانكارية . فلماذا يكون للشاعر شيطان ولا يكون للكاتب مثل ذلك على الرغم ان مجالهما يكاد يكون واحدا ؟

ولكن الأمر عند ابن شهيد يتمدى ذلك فقد جعل للمشايخ وللكبراء نوابها

(١)

من الجن يقول : " وكانت في البركة اوزة بيضاء شهلاء ، في مشيل

جثمان النعامة ، كأنما نذر عليها الكافور ، اولست غلالة من دمقس الحرير ،

لم اراخف من رأسها حركة ، ولا احسن للماء في ظهرها صبا ، تثنى سالفتها ،

وتكسر حدقتها ، وتلولب قنجدتها ، فترى الحسن مستمارا منها ، والشكـل

ما خوذاعنها فقلت لزهير : ما شأنها ؟ قال : هي تابعة شيخ مسن

مشيختكم تسمى الماقلية وتكنى أم خفيف .

(٢)

ويقول أيضا : " فتسبم زهير وقال لي : هو تابعة كبير منكم ففهمتها عنه "

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٤

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٢

ثانيا : المنهج التاريخي

اشار ابن شهيد في نقده الى ما يسمى بالمنهج التاريخي وهو دراسة الاطوار التاريخية التي مرت بها ظاهرة ادبية معينة .

فقد تكلم ابن شهيد عن الاطوار التي مرت بها الكتابة الفنية خلال المصور
(١)

المختلفة فقال : " وكما ان للدنيا دولا ، فكذلك للكلام نقل وتغاير في المادة .

الا ترى أن الزمان لما ذار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة

عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من اهل البيان ؟ فالصنعة
(٢)

مضمم أفسح بلاغا ، وأشد ذراعا ، وانور شماعا ، لرجحان تلك المقبول ،
واتساع تلك القرائح في العلوم .

ثم دار الزمان دورانا ، فكانت احالة اخرى الى طريقة ابراهيم بن المباس

ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، فرقت الطباع ، وخف ثقل النفوس .

ثم دار الزمان فاعتري أهله باللطائف صلف ، وورقة الكلام كلف ، فكانت احالة

اخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابيها .

(٣)

فاذا كان حديث الجاحظ عن المصا والبخل والبيان يعد من اوليات

المنهج التاريخي لانه جمع كل ما قيل فيها فان ابن شهيد بعمله هذا اقرب

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٢) اقتراح الصنعة بالتطور العقلي رأى قيم وجددير بالملاحظة لانجده عند كسبر
من النقاد (٣) انظر الاستاذ سيد قطب . النقد الادبي " دار الشروق
بيروت " ص ١٥١ .

الى ذلك من الجاحظ . وان كان كل منهما ليس له علم بهذا التقسيم
الحديث الذي اصطلح عليه ^(١) في هذا العصر . وانما طبقت اقوالهما على
هذه المناهج كما هي الحال في اقوال بقية الادباء .

وقد عرف الاستاذ سيد قطب المنهج التاريخي بقوله : ^(٢) " فاذا نحن

تجاوزنا ذلك الحد ، فرغنا مثلاً في أن ندرس مدى تأثير العمل الادبي
أو صاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه ، أو في دراسة الاطوار التي مر بها
فن من فنون الادب أو لون من ألوانه ، أو في معرفة مجموعة الآراء التي ابدت
في عمل ادبي أو في صاحبه ، لتوازن بين هذه الآراء ، أو لنستدل منها
على لون التفكير السائد في عصر من العصور ، أو اذا حاولنا أن نجعل خصائص
جيل أو امة في آدابها ، وأن نصل بين هذه الخصائص ، ومجموعة الظروف التي
احاطت بها ، أو اذا اردنا أن نحرر نصاً أو عدة نصوص فتأكد من صحتها وصحة
نسبتها الى قائلها الى امثال هذه الباحث التي تخرج عن عملية
التقويم الفنية الفردية للعمل الادبي ولصاحبه ، فان المنهج الفني
وحده لا ينهض بشيء من هذا . ولابد ان نلجأ حينئذ الى منهج آخر هو
: " المنهج التاريخي " .

ونلجأ الى هذا المنهج واضحاً في نص ابن شهيد السابق الذي تكلم فيه

(١) الاستاذ سيد قطب في المرجع السابق قسم المناهج الى اربعة اقسام
١- المنهج الفني ٢- المنهج التاريخي ٣- المنهج النفسي ٤-
المنهج المتكامل . (٢) الاستاذ سيد قطب ص ١٤٤

عن الاطوار المختلفة للكتابة الفنية والتي ابتدأت بمحمد الحميد الكاتب
كما هو معروف ثم سارت في طرق متعددة السان وصلت الي
ما هي عليه في عهد ابن شهيد * وقد ذكر ابن شهيد نماذج
معروفة ومشهورة من الكتاب الراسخين في هذا الفن والذين
يختلفون في طرق كتاباتهم عن بعضهم بعضا — كما وضع ذلك ابن
شهيد نفسه *

ومما لا شك فيه ان هذا يدل دلالة قطعية على ثقافة هذا الناقد

وسمة اطلاعه وقراءته الجادة عن سبقه من الادباء *

ونستخلص من نص ابن شهيد السابق تقسيما محدد ا لمدارس الكتابة

الفنية في النثر العربي فنراه يجمعها في ثلاثة مدارس الأولى مدرسة الصنعة
المقبولة وهي التي لا تكلف فيها الا ما وقع اتفاقا من غير قصد وهي التي

اطلقت النثر من قيوده وتسم بالوضح واليجاز وجزالة الالفاظ وذكر من اصحابها
عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون ومعدون هؤلاء * السرواد

الأوائل لهذه المدرسة حسب ترتيبهم الزمني *

والمدرسة الثانية عبر عنها ابن شهيد بركة الطبا ع وخف ثقل النفوس وهي التي

(١)

زهدت في الفريب وقنعت بمقوى القريحه ووحى الساعة *

اما المدرسة الثالثة فهي التي التزمت بالسجع في اغلب الاحيان وكان

(١) محمد كرد علي " مراد البيان " دار الامانه بيروت ط ٣ ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ ص ٢٥٢ *

(١)
كلامهم عذبا رشيقا وصنعتهم دقيقة ولطيفة كما هي الحال في تشريدع الزمان
البهذاني وشمس المعالي قابوس بن شمسكبير.

ثم سار ابن شهيد على هذا المنهج عند حديثه عن الصنعة في الشعر
المربى فقال: (٢) الشعراء انتقلوا عن المادة في الصنعة بانتقال الزمان وطلب
كل ذي عصر ما يجوز فيه و تهش له قلوب اهله فكان من صريع الفوائس
ويشار وابونواس واصحابهم في الهديع ما كان من استعمال أفاتينسه
والزيادة في تفریح فنونه. ثم جاء ابوتام فأسرف في التجسس و خرج عن المادة.
وطاب ذلك منه و وامثله الناس و فكل شعرا لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه
تجسس الاذان و والتوسط في الأمر لعدل و ولذلك فضل أهل البصر
صريع الفوائس على ابي تمام لأنه ليس ديباجة المحدثين على لامة المشرق
فتركب له من الحسن بينهما ما تركب.

(٣)
لكن من الملاحظ ان المنهج التاريخي لا يستقل بنفسه فلا بد ان يكون
فيه قسط من المنهج الفني لأن التدقيق ولحكم ودراسة الخصائص الفنية
ضرورية في كل مرحلة من مراحلها ولكن يجب ان تقتصد في ذلك لئلا يفقد
هذا المنهج وضعه الصحيح.

وكما ان للمنهج التاريخي محاسن فان له عيوبها واطارا ايضا فمن اخطاره انه
يفقل الاحكام الخاصة على كل شخصيه ما يجعل فيه بعض الظلم للمبقرات
الفردية.

(١) زكي مبارك ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤٤ (٢) ابن سبام ٢٠٣/١/١

(٣) انظر سيد قطب ص ١٤٤

ثالثا : علم الجمال

عند ابن شهيد بعض النظرات النقدية الجديدة على النقد العربي
والتي لم يقل بها اي ناقد سواه حتى هذه اللحظة وخاصة من نقسـاد
الادب العربي من ذلك قوله : ^(١) " فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد
تأتى منه في حسن النظام ، صور رائقة من الكلام تملأ القلوب ، وتشفق النفوس .
فإذا فتشت لحسنها أصلا لم تجده ، ولجمال تركيبها اسما لم تعرفه ، وهذا
هو الغريب ، أن يتركب الحسن من غير الحسن ، كقول امرئ القيس :

الاعم صباحا ايها الظل البالسي

وقوله :

تنورتها من اذرعها واعلمها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي
فان هذه الديرهاجة اذا تطلبت لها اصلا من غريب معنى لم تجده ، وكقول
ابي نواس :

طرحتم من الترحال ذكرا ففمننا * فلو قد شخصتم صبح الموت بمضنا
ثم قال فيها :

سا شكوالي الفضل بن يحيى بن خالد * هواك ولعل الفضل يجمع بيننا
فهذا من الكلام الفث ، واللفظ الرث ، الذي لورامه حمار الكساح لأدركه
، ولكن له من التعلق بالنص ، والاستيلاء على القلب ما ترى .

(١) ابن بسام : ١/١ ص ١٩٧ .

وكان للنقاد حول هذا النص وجهات نظر متعددة فقد سمى الدكتور زكي مبارك هذه الفكرة " طبعا " فقال : ^(١) " وهذا الكلام يمثل جانبا من جوانب البلاغة عند ابن شهيد : وهو جانب الطبع . ومعنى ذلك أنه يتفق لنا أن نمجيب بفقرة من النشر ، أو بيت من الشعر ، بدون أن يكون لما أعجبنا به معنى غريب . "

وكان الدكتور زكي راجع نفسه فوجد ان هذا القول لا يكفى للتوضيح فعاد ليقول : ^(٢) " وكل هذا جدير بالتأمل والدرس فقيه شرح لما استغلق على النقاد أزمانا كثيرة ، السنا ترى في بعض الرسائل والخطب والقصاص نماذج قاتنة ، وهى مع ذلك خلو من غرائب المعانى ؟ فلنعرّف الآن أن السر في اعجابنا بأمثال تلك النماذج مرجعه الى الطبع والروح . "

وبعض النقاد فسروا قول ابن شهيد على أساس انه يمد البلاغة ^(٣) " نوعا من الالهام ، أو شيئا من النسيب أو سرا من أسرار النفوس . " وان كان هذا القول صحيحا الا أنه لا يوضح الهدف الذى رس اليه ابن شهيد من وراء هذه الأقوال .

وفى الواقع ان ابن شهيد يشير فى النص السابق الى علم الجسد الذى ذلك العلم الذى ما زالت بعض جوانبه غامضة الى هذه اللحظة .

(١) الدكتور زكى مبارك ج ٢ ص ٦٧
(٢) الدكتور زكى مبارك ج ٢ ص ٦٨
(٣) الامتاز احمد ضيف : ص ٥٥

ومن الملاحظ ان هذه النظرة خاصة باين شهيد فهو اول ناقد استطاع
ان يكون مفهوما عن هذا العلم قريبا من مفهوم علماء اوربا في العصور
الحديثة .

واذا كان الفزالي وابو حيان التوحيدى وابن سينا وغيرهم قد فهموا شيئا
عن علم الجمال كما اشار الى ذلك الدكتور عز الدين اسماعيل فان ابن سينا^(١)
شهيد نظر اليه من زاوية تختلف تماما عن نظرتهم فكان مجددا في ذلك
كما يقول الدكتور احسان عباس :^(٢) " وهذه نظرية طريفة في الجمال " تركيب
الحسن من غير الحسن " تمد من ابتكار ابن عامر ، ولعله يعنى بها ان كل جزء
على حدة ليس فيه جمال ، فاذا تركيب الاجزاء سمت بجمال ناجم عن التركيب
النجم . "

ونظرة ابن شهيد هذه قريبة جدا من نظرة الفيلسوف الالمانى " كانت " ^(٣)
الذى يرى ان : " الجميل هو الذى يروق كل الناس . دون حاجة للمبىسى
افكار عامة مجردة ، وذلك انه لا سبيل لنا الى معرفة شئ عام عالى دون افكار
تجريدية عامة تستطيع بها تقويمه ، الا الجمال . "

فاذا اردنا ان نقارن بين نظرة ابن شهيد ونظرة " كانت " نجد انهما
تكاد ان ترميان الى هدف واحد وهو ان الجمال سر من اموار النفس البشرية
يصعب تحليله او تقييده بقواعد ثابتة .

(١) انظر الدكتور عز الدين اسماعيل - الاسس الجمالية في النقد العربى - دار
الفكر العربى ط ٣ ١٩٧٤ م ص ١٢٨ - ١٢١ م
(٢) الدكتور احسان عباس - تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٤٧٩
(٣) الدكتور محمد غنيمى هلال : ص ٣٠١

وما يجدر ذكره ان الاستاذ يعقوب زكى لاحظ تلك الروح الحديثة في كلام
ابن شهيد عن الجمال يقول : ^(١) وبالرغم مما في لفة ابن شهيد من
روح عصية حديثة مدهشة ، فانه هو أيضا مثل علماء علم الجمال في العصر
الحديث لم يقرب قيد انملة من الوصول الى تحليل للفر الخالد في عملية
الخلق الفنى .

ولكن الاستاذ يعقوب زكى يقسوعلى علماء الجمال حين يقول انهم لم
يقربوا لأن لهم جهودا لا ينكر فضلها في هذا الضمار استطاعوا من خلالها
ان يوضهوا أشيلاء كثيرة كانت غامضة .

اما قول ابن شهيد : " فهذا من الكلام الفث ، واللفظ الرث ، والسذى
لورامه حمار الكماح لأدركه " . فلأنه عاب في البيت الأول القافية
وعاب في البيت الثانى المبنى - لأن الشاعر وضع الفضل بن يحيى في موضع
لا يليق به . ولكن على اى حال فان البيتين جميلا ومقبولان .

وأخيرا نستطيع القول بأن ابن شهيد اثار الى نظرية في علم الجمال ،
وان كانت ليست مبنية على تجارب علمية ثابتة وانما هى نتاج البصيرة النافذة ،
والذكاء الخارق . ولى كل حال فاننا نحى في ابن شهيد هذه القدرة
المقلية الفائقة .

(١) الاستاذ يعقوب زكى - مقدمة الديوان ص ٧٠

رابعاً : اسلوب الرجل هو الرجل

كان ابن شهيد يؤمن بأن اسلوب الاديب وشهجه يدل على شخصيته لأن الشاعر او الكاتب في بداية الطريق يبدأ في التقليد وهذه مرحلة لا يستغنى عنها أي شخص مهما كانت موهبته ثم بعد ذلك يستمر في التحصيل والممارسة حتى تصبح له في يوم من الأيام طريقته الخاصة وشخصيته المستقلة التي لا يشاركه فيها غيره وعرف بها بين الناس وهذا ما نشاهد على سبيل المثال عند : المقاد وطه حنين والمازني وغيرهم فان امثال هؤلاء اذا عرضت اعمالهم على انسان تمكن من اساليبهم واكثر القراءة لهم فانه لا محالة يرد كسل نص الى صاحبه ولو لم يذكر اسمه على ذلك النص ، وهذه تجربة قد تكرر بأى شخص منا اذا سمع بيتاً من الشعر يقول : كأن هذا البيت للشاعر الفلاني وهكذا مما يدل على ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين النص وبين صاحبه الذي انشأه . وروى لنا ابن شهيد في رسالة التوايح والزوايح حواراً جرى بينه وبين تابعه — الجاحظ — فيشكو اليه ابن شهيد قلة الفصاحة والبيان عند ابنا قومه ولكن تابعة عبد الحميد الكاتب يمتدح عليه قائلاً : " فقال الشيخ الذي الى جانبه ، وقد علمت انه صاحب عبد الحميد ونفس مرتقبة الى ما يكون منه : لا يفرتك منه أبا عينه ما تكلف لك من الماثلة . ان السجع لطبعه ، وان ما اسمعك كلفة . ولو امتد به طلق الكلام ، وجرت افراسه في ميدان البيان ، صلى كودنه ، وكل برثته . وما اراه الا من اللكن الذين ذكره ، والافعال للفصاحة

لا تهدر ، ولا للأعرابية لا تومض ؟ فقلت في نفسي : طبع عبد الحميد
وساقه ورب الكعبة !

وهذا بلا شك يدل دلالة قطعية على ان ابن شهيد كان مؤمنا بهذه
الحقيقة التي ادلى فيها برايه قبل ان يأتي كل من يؤفون الذي قال : ^(١) ان
أسلوب الرجل هو الرجل نفسه .

وقلوسير الذي قال ان الأسلوب ^(٢) طريقة للكاتب الخاصة في رؤية
الاشياء . ففي الحقيقة ان صاحب الفضل الأول فيها هو ابن شهيد
ومنذ طبع ان تعدها من مبتكراته لأنى لا اعلم ناقدا قبل ابن شهيد تعبير
لهذه القضية لا بالتلميح ولا بالتصريح ، وهذا ليس غريبا على ابن شهيد
لانه اتى بأشياء لم يمرقها اكثر النقاد كما سوف يتبين لنا فيما بعد .

يقول الامتاذ احمد ضيف في هذا الضمار : ^(٣) " هذا شئ طريف في النقد

الادبي عند العرب ، وكأنه يشير الى مذهب النقاد الذين يأخذون صور الكتاب
من كتاباتهم ، ويقولون ان البلاغة من نثر ونظم تدل على نفوس الهلفاء ونسى
هذا الكلام اشارة الى مذهب على في النقد .

وفي النص السابق لابن شهيد دليل واضح على اتساع ثقافته وكثرة اطلاعه

لان معرفة منهج الاديب وتمييز طريقته لا تتم الا عن طريق القراءة الجادة التي

(١) الدكتور عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ط ٥ ١٩٧٣ دار الفكر المرسى
ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) الدكتور عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ص ٣٧

(٣) الامتاذ احمد ضيف ص ٥٥

تكون خصائص معينه لذلك الاديب وهذا يبطل المعتقد الذي يقول به ابن
حيان في كتاب الذخيره من أن ابن شهيد قليل الاطلاع ^(١) يقول: " فيقول
الكلام كما يريد عن غير اقتناء للكتب ولا اعتناء بالطلب ولا رسخ في
الادب فانه لم يوجد له - رحمه الله - فيما بلغنى بعد موته كتاب
يستمين به على صناعته وشحذ من طبعه الا ما لا قدر له . "

وقد تسرب الشك الى ابن حيان من خلال نص ابن شهيد الذي يقول
فيه: ^(٢) " وسير المطالمة من الكتب يفيدني " ولكن ابن شهيد
يقصد انه لتوقد ذكائه ودقة ملاحظته فانه يكتفى بالنظرة السريعة
المابرة على اي كتاب يقرأه والا فكيف نفسر حفظه لأشعار القدماء وحديثه
عن الكتاب وخوضه في مواضيع النقد المتعددة التي لا تتيسر لقليل
الثقافة . وفي الحقيقة ان جميع ما بين ايدينا عن ابن شهيد من شعر
او نثر يماض قول ابن حيان ويبطله دون ان يحتاج ذلك الى اثبات .

(١) ابن بسام : ١/١ ص ١٦٣
(٢) " " : ١/١ ص ٢١١

خامسا : المعارضة

(١)

يرى ابن شهيد ان المعارضة نوع من التفوق وان الشاعر الذي يعارض الشعراء القدماء ويناقضهم - على حد تعبيره - شاعر مجيد وبارع يقول ابن شهيد عن عبدالرحمن بن ابي الفهد - احد شعراء الاندلس - : "غزير المائدة واسع الصدر حتى انه لم يكذب يلقى شعرا جاهليا ولا اسلاميا الا عارضه وناقضه ، وفي كل ذلك تراه مثل الجواد اذا استولى على الامد ، لا ينسى ولا يقصر ، وكانت مرتبته ايام بني عامر دون مرتبة عبادة في الزمان ، فاعجب ."

وفي الواقع ان عد المعارضة نوعا من تفوق الشاعر رأى جديد كل الجودة

على تاريخ النقد الادبي عند العرب بصرف النظر عن مدى صحته او عدمها يقول الدكتور احسان عباس : " (٣) ولأول مرة نرى ناقدا يقر مبدأ المعارضة

مميّارا للتفوق ، فنجد ابن شهيد ناقما على النقاد الذين كانوا يتولسون ديوان الشعراء لأنهم أخروا عبد الرحمن بن ابي الفهد وقدموا عليه عبادة بن مائة السماء ."

(١) المعارضة الشعرية : هي ان يقلد الشاعر اللاحق شاعرا سابقا عليه او في عصره فيختار قصيدة من قصائده لينسخ على منوالها قصيدة اخرى بشرط ان تكون موافقة لها في البحر والقافية وفي بعض الاحيان في الموضوع نفسه . وامثلة ذلك في الأدب العربي كثيرة مثل معارضة شوقي للهويصيري في نهج البردة ، ومعارضته ايضا لأبي الملاء المصري في القصيدة الدالية الفلسفية ، ومعارضته للبحثري ايضا في سينيته الى غير ذلك . الحميدي : ص ٧٧

(٣) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبي عند العرب . ص ٧٧

ولكن الحقيقة ان اى تقليد غالبا ما يكون اقل قيمة من التقليد لأن مقلده
الشيء لابد ان يكون قد أعجب به غاية الاعجاب والاعجاب دلالة على الاجلال
والتقدير ، بل انه فى بعض الاحيان يدل على شموخ المرء بالقصور عما عجزت
به . والشاعر حينما يمارض شاعرا آخر فانه يقلده أولا فى البحر والقافية
وهما من العناصر المهمة فى الشعر فنرى الشاعر الممارض لا يكلف نفسه مشقة
التفكير فى اختيار البحر ولا يهرع الى المعاجم والدواوين كي يقتبس بعض
الكلمات المناسبة للقافية . ثم انه قد يفيد من بعض افكار الشاعر الذى يريد ان
يمارضه " . ولا شك أن المبدع له الفضل الذى لا ينكر .

ونستنتج من نص ابن شهيد السابق ايضا انه يوافق ابن سلام الجيحي
فى جعل الكثرة شرطا اساسيا فى اعلاء مكانة الشاعر .

ولكن الواقع ان الكثرة بدون جودة لا تساوى شيئا لأن المقياس
الحقيقى لمكانة الشعر هو اقبال الناس عليه ولا يتم ذلك الا اذا كان الشعر
جيذا ، وكلنا يعلم ان هناك شعراء مלאوا بشعرهم دواوين عديدة ولكن
على الرغم من ذلك فان شهرتهم لا تتعدى بعض الأفراد

ومن الجدير بالذكر ان المعارضات الشعرية تثرى النقد الادبى عن
طريق تلك المقارنات اللطيفة بين المعارض والمعارض باظهار المتفوق والاشارة
الى المخفق . وكل ذلك يجعل لدى الناقد مادة جيدة وحصيلة واسعة
كى يصدر احكامه ويوضح وجهة نظره والانصاح عن رأيه فى تلك المعارضات

سادسا : اثر الاعضاء فى تكوين الاديب

ما فطن اليه ابن شهيد فى نقده علاقة الاعضاء بالقدرة العقلية
والملكة الادبية فأشار الى ان هناك علامات جسمية با رزة يحكم على
ذكاء الشخص وفطنته من خلالها فقال - محرضا بالمعلمين : ^(١) " يدركون بالطبيعة
ويقصرون بالآلة وتقصيرهم بالآلة هو من طريق الملل الداخلة من فساد
الآلة القابلة للروحانية ، والخادمة لآلات الفهم ، الباعثة لرقيق الدم
فى الشريانات الى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ، ونقصانها عن المقدار
الطبيعى . وما يعين على ذلك بالحدس وطريق الفراسة فساد الآلة الظاهرة
كفرطحة الرأس وتسفيطه ، وتواء القمحودة ، والتواء الشدى ، وخزر المسين ،
وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبة . "

وهذه الاحكام تتعلق بعلم النفس وعلم وظائف الاعضاء لأن التجارب العلمية
اثبتت ان هناك اتصلا وثيقا بين العقل والجسم وان اى تأثير على احدهما
يؤثر على الآخر يقول احد علماء النفس : ^(٢) " يرجع الذكاء الى التكوين
الاجسامى العام ، والى تكوين الغدد الصماء والجهاز العصبى بوجه
خاص ، والى تكوين المخ والمراكز العصبية العليا بوجه اخص ، ولذا يعرفه
بعض العلماء بأنه " وظيفة الجهاز العصبى المركزى " فكلما قوى بناء ذلك
الجهاز ، وترابطت أجزاؤه كان ذلك أدعى الى الذكاء ، ومن ثم كان الانسان
أذكى انواع الحيوان ، لأنه اقواها أعصابا ، ولأن جهازه العصبى متصل

(١) ابن بسام (١/١) ص ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) حامد عبدالقادر ، دراسات فى علم النفس التعليمى ، مطبعة النهضة ، مصر

١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م ، ص ٣٣٠

اجزائه بعضها ببعض أشد اتصال • فوراثة الذكاء تأتي بطريق وراثة القوة الجسميه
على العموم والقوة العصبية بوجه خاص •

ومما لا شك فيه ان الانسان اذا كانت به عاهة من العاهات فانها تؤثر
على سلوكه الاجتماعى وتزعزع ثقته فى نفسه مما يؤدي به الى الاحباط وعلى العكس
من ذلك الانسان السوى الذى يقوى ثقته فى نفسه ويقدم على الاشياء بروح قابلية
لها مما يساعد على نجاحه فى اكثر اموره يقول الدكتور مصطفى فهمى :^(١) ان اى
خلل يصيب اجهزة الطفل المختلفة ، يؤثر على مدى ملائمة هذه الاجهزة
للعمل مع بعضها من جهة ، كما يؤثر على مدى تدريب الطفل على التكيف
مع نفسه ، ومع العوامل الاجتماعية والثقافية ، والبيئية المختلفة من جهة
اخرى •

وفيما يبدو ان ابن شهيد وفى لهذا المبدأ ومؤمن به اشد الايمان ،
فقد عقد مقارنة لطيفة بين الذين لم يرزقوا الآله القابلة للبيان وبين
الحمار الذى يطلب منه الضرب على الأوتار وكلنا يعلم ان هذا مستحيل • فيقول
فى ذلك :^(٢) فهم يصرفون غرائبها فيما يجرى عندهم تصرف من لم يرزق الآلة
الفهم ، ومن لم تكن له آلة الصناعة ، ما هى مخصوصة بها ، لا تقوم تلك
الصناعة الا بتلك الآلة ، فهو كالحمار لا يمكنه ان يتعلم صناعة ضرب
المود والطنبور ، لتوتد رسغه ، واستدارة حافره ، ولاله بنان يجس بسه

(١) الدكتور مصطفى فهمى • الانسان وصحته النفسية • مكتبة الانجلو المصرية
١٩٢١م ص ١٣

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

على دستبان • ولو جاز أن يكون حمار يثنى :

ما بال انجم هذا الليل حائرة * اضلت القصد أم ليست على فلك ؟

وشبهه ، من أجل أن له حنكا ولسانا وقصة ورثة ، لما جاز أن يوقع بالضراب
على الأوتار ، ويتم بجس الأنامل ، ويرخى الوتر في مجرى السبابنة
والبنصر ، فيلبل بنشيد ، ويولول في ضرابه على بعيظه .

وفي الواقع ان هذا الكلام لم يصبق اليه ابن شهيد من اى ناقد آخر

ما يدل على عظمة هذه المبقرية التي لم تمتط حقا من النقاد الذين

تكلّموا عنها • وهذا ما لاحظته الاستاذ احمد ضيف حين يقول : ^(١) " وهل

نجد بين ادباء العرب • في النقد الادبى هذا الطريق الملمس ؟ ان هذه

لاراء ممتازة في النقد الادبى العربى • وطريقة علمية تشبه ما حدث فى

الادب عند اهل اوربا فى القرن التاسع عشر • وكان هذا يكون نموذجيا

للقند الصحيح وطرقه العلمية التي تصل افكار الكاتب وآراءه بتكوينه العصبى

وتركيبه الجسمى • ولكن واحدا من الادباء الذين تكلّموا عن أبى عامر ابن شهيد

لم يذكروا له غير " شعره الرقيق ، وأسلوبه الرشيق ، وجونه الكثير وأدبه الوفير . . . "

الخ • ان ابن شهيد من افذاذ الادباء والمفكرين الذين أنجبهم حركة

المقول والادراك فى الاندلس .

ويكفينا فخرا أن بعض نظريات ابن شهيد التي اطلقها قبل الف عام

يأتى الملم الحديث فيثبثها فى هذا القرن يقول الاستاذ يعقوب زكى : ^(٢) " وليس

(١) الاستاذ احمد ضيف • ص ٥٩

(٢) الاستاذ يعقوب زكى • مقدمة الديوان ص ٦٧

من شك في أن نظرياته كانت نظريات ثورية ، متقدمة جدا عن آراء أي عصر
قبل هذا القرن العشرين .

وايما ن ابن شهيد بهذا المبدأ جملة يحط من شأن الجاحظ ويعتقد
ان الذي قعد به عن المناصب السياسية ورتبة الكتابة عند الخلفاء هو جحوظ
عينيه قال : " او يكون افراط جحوظ عينيه قعد به عنها ، كما قصرين انا فيهما
ثقل سمى ، وبابى القاسم ورم انفه اذ لا بد للملك من كاتب مقبول الصورة تقبـح
عليها عينه واذن زكبه تسمع منه حسه ، وأنف نقى لاتدم انفاسه عند مقارنته لنته"
وفي الواقع ان حرمان الجاحظ من المناصب السياسية لا يقلل من مكانته العلمية
لان العالم لا يقاس بحلو مرتبته وانما يقاس بعلمه ومعرفته بل ان بعض العلماء يحاول
ان يعتمد عن الملوك وشؤون الدولة كى ينصرف الى العلم والتحصيل . وكلام
ابن شهيد هنا يعطيه " صورة غير مقبولة ، فالأدب والعلم عنده من وسائل العيشى
والحظوة عند الملوك ، ومقدار نجاح الكاتب في دنياه يكون فضله ، وهذا خطأ
مبين ."

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٨

(٢) مما تجدر الاشارة اليه ان ابن شهيد اتهم الجاحظ بأنه بخيل بعلمه شحيح
بمعرفته فقال عن كتابه " البيان والتبيين " ولو كشف فيه عن وجه التعليم ،
وصور كيفية التدبـح لا ترى كيف وضع الكلام ، وتزيين البيان ، وكيف التوصل
الى حسن الابتداء ، وتوصيل اللفظ بمد الانتهاء ، وابدئ لهم عن تدبير
المقاطع والمطالع ، فانها معادن الصنعة ، ومواضع مفاتيح الطريقة ، ولكنك
استمسك بفاثته ، ورضن بما عنده ، وغيره على العلم ، وشحا بشرة الفهم ،
وعرف ان النفع كثير ، والشاكر قليل ، فلم يفد بما أضح من أمر البيان فائدة
غير اهله ، ومن كرع في حوضه ، واستاف من نده . واما ان يخرج مبتدئا
أو يعلم جاهلا فلا الهه . ابن بسام ١/١ ص ١٩٨

ولادري على اى اساس اعتمد ابن شهيد في حكمه هذا لان كتاب (البيان
والتبيين " من خيرة الكتب العربية القديمة ومن اكثرها فائدة وقد شهد لسه
كبار العلماء والادباء بأنه مؤلف جليل ومفيد ، كذلك ان الجاحظ اشتهر
بالاستطراد وهو الخرج عن موضعه الذى يتكلم فيه الى موضوع آخر له اتصال
به وفي هذا دليل على ان الرجل لم يكن بخيلا او شحيحا . ولم يقبل
احد بذلك الا ابن شهيد .

(٣) زكي مبارك ج١ ص ٧٠

سابعاً : هيئة الأديب

وتنبه ابن شهيد أيضاً إلى تأثير مظهر الأديب وشخصيته على المستمعين فقال
منتقداً أبا القاسم ابن الأفلح (١) : " وهو يرى أن بعض ضيانتنا قد أقلقوه حين قالوا :
ليست مشيته مشية أديب ، ولا وجهه وجه أديب ، ولا جلسته جلسة عالم ، ولا أنفه
أنف كاتب ، ولا نعمته نعمة شاعر . وحكوا أنه ، إذا مشى الخيزلي ، وتقدم قليلاً
ثم رجع القهقري ، والقصبه في يده ، والخرج على عاتقه ، احذق الناس
في إخراج لعبة اليهودي ، فأقلقوه بما يسمع ، فكيف لو عضته أنياب غير مغلوله ،
وخدشته أظافر غير مقلبه ؟ " .

وهذا القول على جانب كبير من الصحة لأن الإنسان إذا كان يطك شخصية
قوية فإن أثرها يظهر على هيئة وتصرفاته من أقوال وأفعال فالشخصي
الذي تكون جلسته غير عادية أو مشيته ليست طبيعية يكون مثاراً للضحك والاستهتار
ما يجعل الأصفاء إليه قليلاً احتقاراً له ، وهذه أشياء تلمسها في حياتنا
اليومية التي نعيشها وتثبتها أيضاً التجارب العلمية .

ويؤكد ابن شهيد ذلك الرأي ضمن حديثه عن الكاتب وما يجب أن يتوفر
(٢)
فيه يقول : " أن يكون طيب الرائحة ، سليم الحواس ، نقي الثوب ، ولا يكون
وسخ الضرس ، مخضب الشفة ، مكحل الأظفور ، وضرا الطوق " .

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢

(٢) " " " " ١/١ ص ٢٠٨

وهذه اللفظة الجميلة تعد منقبة من مناقب ابن شهيد تدل على دقمة
ملاحظته وثقب نظره . يقول الدكتور احمد هيكسل ^(١) : " ومن احسن ما اشر
عن ابن شهيد كذلك مما يتصل بالنقد - وان كان متعلقا بشخصية الأديب
لا بحمله الأديب - حديثه عما يجب ان تكون عليه هيئة الأديب المتصل بحكم
عمله بالآخرين ووجوب كونه سليما حسن الهيئة نظيفا ، لأن عدم ذلك
قد ينفر منه ويصير الى أديبه تبعا لذلك .

وابن شهيد وان خص بهذا الكتاب المشتغلين مع الحكام ، فهو ينفذ
المشبهين لهم من المتصلين بالناس " .

ولكن في الحقيقة ان هذا الرأي ليس قاعدة مطردة في جميع الحالات فقد
نرى ادبيا دميما اورث الهيئة ومع ذلك يشد انظار المستمعين ببيانه وبلاغته
وهذا ما قال به سهل بن هارون عندما يقول : ^(٢) " لو أن رجلين خطبا أو تحدثا
أو احتجا أو وصفا وكان احدهما جميلا جليلا بهيا ، ولهاسا نبيلاً ، وذا حسب
شريفاً ، وكان الآخر قليلاً قميثاً ، وباذ الهيئة دميماً ، وخامل الذكر مجبولاً
ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة ، وفي وزن واحد من الصواب
لتصدع عنهما الجمع ، وهاضم تقضى للقليل الديم على النبيل الجسم ، ولللسان
الهيئة على ذي الهيئة ، ولشغلم التمجيب منه عن مساواة صاحبه به ،
ولصار التعجب منه سبباً للمجيب به ، ولصار الاكثار في شأنه علة للاكثار
في مدحه ، لأن النفوس كانت له احقر ، ومن بيانه أيأس ، ومن حسده ابعده " .
ومن الملاحظ ان ابن شهيد يتكلم بلسان عصره الذي طغى فيه الاعتناء بالشكليات
والاشتماع بالمظاهر كما اتضح ذلك في زخرفة المباني وتعميق المجالس والتفنن
في ارتداء الملابس .

(١) الدكتور احمد هيكسل ص ٣٩٨
(٢) الجاحظ . البيان والتبيين ج ١ ص ٨٩ .

الخاتمة

استنتاج و خلاصة

تبين لنا ان ابن شهيد شخصية نقدية مهمة وجديرة بالبحث والدراسة لأنه من الرواد الأوائل الذين استطاعوا ان يكونوا للأندلس مناهج نقديه متميزه وان كان لم يستطع بحال من الاحوال ان يستغنى عن آراء النقاد المشارقه بل انه خاض في اكثر المواضيع التي تكلموا فيها ولكنه مع ذلك يعد ناقدا فريدا من نوعه فقد اطلق بعض النظريات الجديده والجديرة بالاهتمام .

وقد تناولت في هذه الدراسة ترجمة ابن شهيد ونقده فمهدت لذلك بحالة النقد الادبي في الاندلس قبل ابن شهيد موضحا انه لم يكن هناك نقاد يستحقون الذكر في تلك الفترة وان النقد كان يعتمد على الذوق ويلتفت الى الجزئيات كالاهتمام بالنحو والصرف ووضع الكلمة في موضعها المناسب وسرقة بعض الابيات الشعرية وغير ذلك . حتى جاء ابن شهيد فدرس النقد دراسة منهجية منظّمة فكانت اقواله بمثابة الهذرة الأولى للنقد الأدبي في الاندلس وان كان الذي ضاع من نقد ابن شهيد اكثر بكثير مما بين ايدينا الآن بل ان مؤلفه " حانوت عطار " (١) يعد مؤلفا نقديا بحتا .

ثم تحدثت عن حياة ابن شهيد وما لها من اثر واضح على ادبه ونقده وسلوكه

الاجتماعي .

(١) راجع آثار ابن شهيد ص ٣٤ من هذه الرسالة .

اما آثاره فقد فقد اكثرها الا ما وجد مبعثرا في المصادر الاندلسية
القديمة التي الحدائق نجد بعض القضايا لم يستكمل الحديث عنها فظل الفكره
ان غامضة بعض الشيء .

وكان لابن شهيد مكانة علمية كبيرة في نظر الادباء والنقاد قديما وحديثا
فقد اشادوا به واكثروا الثناء عليه ولانكاد نجد كتابا من كتب النقد الادبي في الاندلس
الا وجعل ابن شهيد في مقدمة النقاد الذين يتحدث عنهم .

وكان للشعر نصيب وافر من نقد ابن شهيد فقد حدد موقفه من قضية اللفظ
والمعنى فادرك الصورة الادبية التي تمت النتيجة النهائية لكل من اللفظ
والمعنى وبين انهما يشتركان في ابرازها وان اي تأثير على احدهما يؤثر على
كمال تلك الصورة . ونوه كذلك بنظرية النظم مما يدل على
انها كانت متبلورة في ذهنه وانه كان مستوعبا لها . وبين كذلك ان المعاني
لا تتخذ الناقد بقدر ما تتخذ الالفاظ ورنينها فحذره من ذلك بالاحتسار
من حلاوتها والانخداع ببريقها كي تكون احكامه موضوعية وصحيحة .

كما تنبه ابن شهيد الى السرقات الشعرية وهو موضوع قديم طرقة كثير من النقاد
فنصح الشاعر بالافلاج عن سرقة المعاني التي احسن فيها قائلها لانه لا يضمن
تفوقه على ذلك القائل او المبدع ه واذا كان ولا بد فمليه ان يتخذ نوحا من الحيلة
والاخفاء وهو تغيير العروض حتى تختلف الموسيقى فلا تظهر السرقة . واشهر
كذلك الى الزيادة وبلغ الحسن فيها مستشهدا ببعض الابيات الشعرية لشعراء
من المشرق جاهليين وعباسيين مثل الالفه الاودي والنايفة الذبياني وابي نواس

وصريح الفوانى والبي تمام والعتبى فتحدث عن شعرهم فى الطير ومن الذى احسن
منهم وبين وجه الاحسان فى ذلك .

كما تكلم ابن شهيد عن الطبع والصنعة ففهم الطبع كما فهمه الجاهليون وهو
الاستعداد الفطرى دون اعادة النظر وكان يؤيد الصنعة المعتدلة التى تقبلها
النفوس فلا تكون خارجة عن حدود المعقول ولذلك انكر على ابن تمام اسرافه
فى التجنيس واقراطه فى ذلك .

وتنبه ابن شهيد كذلك الى تأثير البيئة على الاديب واهميتها فى تكوينه
الخلقى واثرت ذلك على انتاجه الادبى ضاربا امثلة ببعض الملوك والامراء
الذين كانوا يذهبون بابنائهم الى الهادية كى تحتد افئدتهم وتمتد سنتهم .
وكان لابن شهيد رأى فى الحرب يختلف عن رأى ابن سلام فيها الذى قال بسـه
فى كتابه الرائد " طبقات فحول الشعراء " . وذلك أن كل واحد منهما نظر الى
الحرب من زاويته الخاصه . فابن شهيد يرى انها تقضى على الادب والادباء
وتقف فى وجه الحركة العلمية ولكنه يتحدث عن حرصه التى اشتملت فى قرطبه .
اما ابن سلام فإنه يرى أن الشعر يكثر مع الحروب لأنه منشط لطبيعة تلك الحروب
التي يتحدث عنها .

كما حدد ابن شهيد موقفه من النحو فبين انه وسيلة تؤدى الى سلامة التركيب
الذى يتم به البيان فانكر على معلمى قرطبه جعلهم النحو غاية فى ذاته واهتمامهم به
اهتماما انساهم الفرض الاساس من وضعه اصلا مستشهدا ببعض اقوال الجاحظ
فى ذلك المجال .

كما نوه ابن شهيد ببعض النصائح التي تفيد الناقد في حكمه على النص
الادبي بأن ينظر اولاً الى الالفاظ والمعاني لأنها الحجر الاساس لكل قصيده
ثم يفتش بعد ذلك عن الهدى فيكون اكثر حرصاً في اصدار الأحكام النقدية ويجب
عليه ان يلتفت الى ثقافة الشاعر واقتداره على اللغة واقتناص الالفاظ

وكان لابن شهيد موقف واضح من البيان فهين ان الموهبة الفطرية هي الاساس
فيه ثم بعد ذلك تنمى وتصل بالتدريب والمثابرة حتى تصبح قادرة على
المطاء . وقسم ابن شهيد اصحاب البيان الى ثلاث طبقات : من لديه الموهبة
ولكنه قصير الباع ، ومن لديه الموهبة وطول النفس ، وقليل الموهبة ولكن
لديه الذكاء الذي يغطي به على ذلك النقص . وهذا التقسيم جديد كل الجدة
على النقد العربي وفضله يرجع اليه .

وظن ابن شهيد كذلك الى " مراعاة مقتضى الحال " فنظر اليه نظره تفصيلاً
اضافة الى نظرة العرب اليه بالتفريق بين المستمعين حسب قدرتهم على الفهم
فهين ان البلاغة ضرب من السياسة النفسية .

وقد وقف ابن شهيد من السجع موقفاً معتدلاً فهين ان المستحب منه هو ما كان
له موضع من القلب وكان من النفس وهو الذي يخلو من التكلف والتمسك . اما ما يشبه
سجع الكهان فهو المكروه والذي لا تقبله النفس البشرية .

وكانت عند ابن شهيد نزعاً تحريره انكر فيها على الشاعر التزامه بالمقدسة
الطللية حتى ان بعضهم ينسى الفرض الاساسي في القصيدة ويولى هذه المقدسة

جل اهتمامه . كذلك انه عبر عن وحدة العمل الادبي تعبيرا دقيقا فكان ممن
اقرب النقاد الأوائل الى استيعاب هذه القضية .

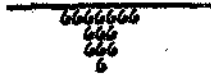
وكان ابن شهيد رائدا لبعض القضايا النقدية وبتفردا برأيه فيها . من ذلك
موقفه من شياطين الشعراء والنظر اليها نظرة دعابة ومرح فقد ساوى بين الشعراء
والكتاب في ذلك بل انه اشرك معهم المشايخ والكبراء مما يدل على ان القضية
عنده اخذت جانب الهزل اكثر من كونها قضية جديده .

كما تحدث ابن شهيد عن علم الجمال فبين انه سرعن اسرار النفس الانسانية
يصعب تحليله وتقييده بقواعد معينة مستشهدا بجمال بعض القصائد واقبال
النفس عليها دون ان يكون هناك تحليل بين لسر ذلك الجمال .

كما اشار الى ان اسلوب الرجل وطريقته تدل على شخصيته لان الإتيان
في بدايئة الطريق يكون في مرحلة التقليد حتى يباح له طريقته
الخاصة به واسلوبه الذي يعرف به بين الناس وهذه القضية ترددت كثيرا في كتب
النقد الاوروسى .

ورأى ابن شهيد ان الممارسة الشعرية تمد نوعا من التفوق لأن الشاعر
المجيد هو الذي يمارس قصائد الشعراء السابقين ويناقضهم وهذا الرأي جديد
على النقد الادبى ولم يقل به احد غير ابن شهيد ولا اعتقد ان الحظ حالفه
كثيرا فيه لأن الممارسة نوع من التقليد فمما علت مكانته فهو تقليد فليس
من الضرورة ان يكون خيرا من الابداع .

كما اشار ابن شهيد الى هيئة الاديب وما يجب ان يكون عليه من مظهر
حتى لا يكون مجالا للتندر والاستهتار من المستمعين • وفطن كذلك الى علاقة
الاعضاء الجسميه بالقدرة العقلية فبين ان هناك علامات جسدية واضحة
يعرف من خلالها مدى ذكاء الشخص وفطنته ففرطحة الرأس وتسفيطه والتسواء
الشدق وخزر العين وظل الأنف وانزواء الأرنهه غالباً ما تدل على الفساة
والنقله وقد اثبت التجارب العلمية شيئاً من ذلك وان كان ابن شهيد لم يسن
اقواله هذه على اساس علمي وانما كان نتيجة البصيرة النافذة والذكاء الخارق •



فهرس المصادر والمراجع

- ابن الابرار . ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاى . الحله السيراء " القاهرة
١٩٦٣ م ط ١ " تحقيق حسين مؤنس
- ابن الاثير . ضياء الدين ابو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلى
الشافعى . المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر " القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م
د : احسان عباس
- ١- تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبه " بيروت ١٩٧٥ م
٢- تاريخ النقد الادبى عند العرب " بيروت ١٣٩١ هـ
- د : احمد امين . النقد الادبى " بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
- احمد ضيف . بلاغة العرب فى الأندلس " مصر ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م
- د : احمد هيكل . الادب الاندلسى " دار المعارف بصر ١٩٧١ م
- الاصفهانى ابو الفرج على بن الحسين الاغانى " دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ م
تحقيق عبدالستار فراج .
- الاعشى فيهمون بن قيس . الديوان " بيروت ١٩٦٦ م
- الأمدى . ابو القاسم الحسن بن بشر . الموازنه بين الطائيفين " مصر
١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م
- امرؤ القيس . ديوان امرؤ القيس بن حجر " القاهرة الطبعة الخامسة بدون تاريخ
حسن السندوسى .
- الهاقلانى . ابوبكر بن الطيب . اجاز القرآن " دار المعارف بصر ١٩٧٢ م " تحقيق
سيد صقر .
- د : بدوى طهانه . البيان العربى " بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- بروكلمان . تاريخ الادب العربى " دار المعارف بصر ١٩٧٥ م " ترجمة د : رمضان
عبدالنواب .

- ابن بسام • ابو الحسن على بن بسام الشنتريني • الذخيرة في محاسن اهل
الجزيرة " القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م "
- ابن بشكوال • ابو القاسم خلف بن عبد الملك • الصلح " الدار المصرية ١٩٦٦ م "
- بطرس البستاني :
- ١- رسالة التوايح والزوايح " بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م "
- ٢- دائرة المعارف " طهران بدون تاريخ "
- بنت الفاطمي • عائشة عبد الرحمن • قيم جديدة للأدب العربي " مصر ١٩٦١ م "
- البير حبيب مطلق • الحركة اللغوية في الاندلس " بيروت ١٩٦٢ م "
- ابوتمام • حبيب بن اوس • الديوان بشرح التبريزي " دار المعارف بمصر
١٩٧٠ م " تحقيق : محمد عبد العزيز
- الثعالبي • ابو منصور عبد الملك بن محمد • نتيجة الدهر " مصر ١٣٢٥ هـ
- ١٩٥٦ م " تحقيق : محي الدين عبد الحميد
- الجاحظ • ابو عثمان عمرو بن بحر
- ١- البيان والتبيين " مصر ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م " تحقيق : عبد السلام
هارون
- ٢- الحيوان " القاهرة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م " تحقيق : عبد السلام هارون
- الجرجاني • عبد القاهر
- ١- اسرار الهلالة " مصر ١٣٤٤ هـ "
- ٢- دلائل الاعجاز " مصر ١٣٦٢ هـ ، دار المعارف ١٩٧١ م تحقيق : محمد عبد الوهاب
ابن جبر الطبري ، تاريخ الطبري
- د : جودت الركابي في الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م "
- حاجي خليفة • كشف الظنون " بغداد بدون تاريخ •
- حامد عبد القادر • دراسات في علم النفس التطبيقي " مصر ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م "
- ابن حزم • ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم
- ١- طوق الحمامة " مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م " تحقيق : الاستاذ حسن كامل
صرفي

- ٢- الفصل في الملل والاهواء والنحل " المطبعة الادبية ١٣٢٠ هـ "
- حسان بن ثابت • الديوان " بيروت ١٩٧٤ م " تحقيق د : وليد عرفات •
- د : حسين عطوان • مقدمة القصيدة العربية " دار المعارف بصر ١٩٧٤ م "
- الحميدى • ابو عبدالله محمد بن ابن نصر قنوج بن عبدالله الازدى • جذوة
المقتبس " مصر ١٩٦٦ م "
- ابن حيان القرطبي • ابو مروان حيان بن خلف بن حيان : المقتبس " بيروت
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م " تحقيق د : محمود على مكي •
- الحميرى • ابو الوليد اسماعيل بن عامر • الهدى في وصف الربيع " الرياض ١٩٤٠ م -
- ١٣٥٩ هـ "
- ابن خاقان • ابو نصر الفتح بن خاقان بن محمد • مطمح الانفس " قسطنطينيه -
- ١٣٠٢ هـ "
- ابن خلدون • عبدالرحمن بن محمد
- ١- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر " لبنان ١٩٥٨ م "
- ٢- مقدمة ابن خلدون " بيروت الطبعة الرابعة بدون تاريخ "
- ابن خلكان • حسن الدين احمد بن ابراهيم • وفيات الاعيان " مطبعة المسادة
١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م " تحقيق محي الدين عبدالحميد •
- ابو داود • سنن ابن داود " مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م " •
- ابن دحية • ابو الخطاب عمر بن حسن • المطرب من اشعار اهل المغرب " بيروت
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م " تحقيق ابراهيم الاياري • د : حامد عبدالجيد •
د : احمد احمد بدوى •
- الرازى • محمد بن ابن بكر بن عبدالقادر " مختار الصحاح " السموديه الطائف
١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م "
- الزبيدى • ابو بكر محمد بن الحسن • طبقات النحويين واللفويين " القاهرة ١٩٥٤ م "
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم •

- الزركلى • خير الدين • الاعلام " بيروت ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م " .
- د : زكى مبارك • النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى " بيروت ١٩٧٥م " .
- ابن سعيد • على بن موسى بن سعيد • المغرب فى حلى المغرب " دار المعارف
بصر ١٩٦٤م " تحقيق د : شوقى ضيف .
- ابن سلام • محمد بن سلام الجمحى • طبقات فحول الشعراء " القاهرة ١٩٧٤م " .
- تحقيق محمود شاکر • — سيد قطب • النقد الادبى " بيروت بدون تاريخ •
- شارل بلات • ديوان ابن شهيد " جمع " " بيروت ١٩٦٣م " .
- شكيب ارسلان • الحلل السندسية " بيروت ١٣٥٨ هـ " .
- د : شوقى ضيف
- ١— ابن زيدون " دار المعارف بصر الطبعة الثالثة " .
- ٢— الهياغة تطور وتاريخ " دار المعارف بصر الطبعة الثانية " .
- ٣— المصر الجاهلى " دار المعارف بصر ١٩٦١م " .
- ٤— المصر العباسى " دار المعارف بصر ١٩٦٥م " .
- ٥— الفن ومذاهبه فى النثر العربى " دار المعارف بصر " .
- صريح الفوائى • مسلم بن الوليد • الديوان " دار المعارف بصر ١٩٧٠م " تحقيق
د : سامى الدهان •
- الصفدى • صالح الدين خليل بن ابيك — الوافى بالوفيات " بيروت بدون تاريخ " .
- تحقيق ابراهيم الابيارى وغيره •
- الضبسى • احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة النجيب • بغية الملتصق فى تاريخ
رجال اهل الاندلس " مدريد ١٨٨٤م " .
- ابن طباطبا • ابوالحسن محمد بن احمد العلوى • عيار الشعر " القاهرة ١٩٥٦م " .
- طرفه بن المهدي • الديوان " بيروت ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١م " .
- د : طه حسين • حديث الاربعاء " دار المعارف بصر ١٩٧٤م ط ١١ " .

- عبد الرحمن الهاشما • على بن انجم حياته وشعره " دار المعارف بمصر "
- عبد الواحد المراكشي • المعجب في تلخيص أخبار المغرب " القاهرة ١٢٨٢ هـ - ١٩٦٣ م " تحقيق • الاستاذ محمد سعيد المريان •
- ابن عذارى المراكشي • البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب " دار الثقافة بيروت " تحقيق ج • س • كولان و ا • ليفي بروفنسال
- د : عز الدين اسماعيل •
- ١- الادب وفنونه " دار الفكر العربي ١٩٦٣ م "
- ٢- الاسس الجميلة في النقد العربي " دار الفكر العربي ١٩٧٤ م "
- المسكري • ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل - الصانعيون " مصر - تحقيق على محمد الهجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم •
- المقاد • عباس محمود • ابونواس الحسن بن هاني • مطيعة الرسالة •
- عمر بن ابي ربيعة • الديوان " بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م "
- علي بن ظافر الازدي • بدائع الهداية " القاهرة ١٩٧٠ م " تحقيق محمد ابراهيم •
- القاض الجرجاني • علي بن عبدالعزيز • الوصايف بين التهنيت وخصومه • مصر ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م •
- ابن قتيبة • عبدالله بن مسلم الشعر والشعراء " مصر ١٩٦٦ م "
- القرشي • ابو زيد محمد بن ابي الخطاب • جمهرة اشعار العرب " دار نهضة مصر • القاهرة الطبعة الاولى " تحقيق • علي محمد الهجاوي •
- القيرواني • ابو علي الحسن بن رشيق • العمد • مصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م •
- تحقيق محي الدين عبد الحميد •
- كثير غزاه بن عبد الرحمن • الديوان " بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م " جمعه وشرحه د : احسان عباس •
- الكلاعي • ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الاشبيلي • احكام صنعة الكلام " بيروت ١٩٦٦ م " تحقيق د : محمد رضوان الدايه •

- لا في بروفنسال . صفة جزيرة الاندلس منتخبة من الروض المعطار للحميري
" القاهرة ١٩٣٧ م " .
- القنبي . احمد بن الحسين . الديوان شرح البرقوقى " دار الكتاب العربي
بيروت بدون تاريخ .
- د : محمد حسين عبدالله . مقدمة في النقد الادبي " الكويت ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م " .
- د : محمد رضوان الدايب تاريخ النقد الادبي في الاندلس " بيروت ١٣٨٨ هـ
- ١٩٦٨ م " .
- محمد عبدالله عنان
- ١- الآثار الاندلسية الباقية " ص ١٣٨١ - ١٩٦١ م " .
- ٢- دولة الاسلام في الأندلس " القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م " .
- د : محمد عبد المنعم خفاجي
- ١- الحياة الأدبية " طبع سنة ١٩٤٩ م " .
- ٢- قصة الأدب في الاندلس " بيروت ١٩٦٢ م " .
- محمد كرد علي . امراء البيان " بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م " .
- د : محمد مندور " النقد المنهجي عند العرب " نهضة مصر القاهرة ١٩٧٢ م " .
- محي الدين بن العربي " معاصرة الابرار ومسامرة الاخيار " ص ١٣٢٤ هـ " .
- المرزباني . ابو عبدالله محمد بن عمران " الموشح " دار نهضة مصر ١٩٦٥ م " .
تحقيق علي محمد الجاوي .
- المرزوقى . ابو علي احمد بن محمد بن الحسن . شرح ديوان الحماسة
" ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م " .
- د : مصطفى فهمي . الانسان وصحته النفسية " الانجلو المصرية ١٩٧١ م " .
- المقرئ . احمد بن محمد . نفع الطبيب " بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م " تحقيق :
احسان عباس .
- ابن منظور . ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب السداد
الصرية للتأليف بدون تاريخ .

- النابغه . زياد بن معاوية الذبياني . الديوان " دار الفكر ١٣٨٨ هـ -
١٩٦٨ م " تحقيق شكرى فيصل .
- ابونواس . الحسن بن هانى " الديوان " دار الكتاب العربى بيروت بدون تاريخ " تحقيق احمد عبدالمجيد الفزالي .
- د : هلال . محمد غنيمى . النقد الأدبى الحديث " مصر ١٩٧١ م "
- ياقوت الحموى - ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى .
- ١- معجم البلدان " بيروت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م "
- ٢- معجم الأدياء " عيسى البابى الحلبي مصر بدون تاريخ . "
- يعقوب زكى . ديوان ابن شهيد " دار الكتاب العربى " القايره بدون تاريخ .

« تصويبات »

المصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
بين	ابن	١٣	٣
أتشور	أشور	٩	٨
تفشى	تفشى	٧	١٠
موضع	موضوع	٧	١٢
بن رزاح	ابن رزاح	٢	١٤
يتيمة	يتيحة	٦	١٥
ووجهها	روجهها	١٢	٢٤
تساور	تاور	٧	٢٩
خميمه	جميمه	١٠	٣١
قبلنا	قلبنا	٨	٣٢
مرثية	مرثيه	١	٥٠
حزم	جزم	٣	٥٤
قبل	حول	٨	٦٠
مبينا	مبينيا	٢	٦٧
الدموع	الذئوع	٧	٦٧
حسان	احيان	١	٦٩
أساء	سأء	١٣	٧١
عقد	عقدا	٧	٧٣
أفسي	أفيا	١٣	٨٢
للمسى	للمسى	٣	٨٣
المنزل	المنزل	١٤	٨٥
تعاونهم	تعاونهم	٢	٩٧
فصيحهم	فصيحهم	٢	٩٧
يحنون	يحنون	٧	١٠٧
يكلل	يكلل	٧	١٠٨
تدفن	تدفنن	٤	١١١
استمالة	استحالة	٤	١١٣
الطلبية	الطلبية	٣	١٢٠
المجوية	الحبرية	١٥	١٢١

تابع .. تصويبات ...

المفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٧	٤	الشيمبان	الشيصبان
١٢٧	٨	الشيمبا	الشيصبان
١٣٠	٤	احين	احن
١٤١	٨	يوضموا	يوضحوا
١٤١	١٢	جميلا	جميلان
١٥٤	٢	الننى	النذى
١٥٨	٤	ففرضحة	ففرطحة
١٦٣	٨	الجميلنة	الجمالينة